

## إصلاح علم التفسير في التفسير الحديث

الدكتور علي أسعد\*

### المخلص

يهدف البحث إلى بيان إسهام علم من علماء فلسطين في علم التفسير ولاسيما المرتكزات الأساسية لإصلاح علم التفسير، هذا العلم هو محمد عزة دروزة مؤلف التفسير الحديث، فخصصت المبحث الأول للتعريف به وبعصره؛ لتجلية أبرز العوامل التي أسهمت في تكوين فكره وآرائه، وجعلت المبحث الثاني مرتكزات إصلاح علم التفسير في التفسير الحديث؛ للكشف عن موقف دروزة من التفاسير السابقة وتشخيصه للثغرات التي تكررت فيها، ولبيان الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره بهدف تجاوز تلك الثغرات، ومن ثم جعلت المبحث الثالث مفهوم المقصد باعتباره أس ومحور الإصلاح لعلم التفسير في التفسير الحديث.

---

\* قسم علوم القرآن والحديث - كلية الشريعة - جامعة دمشق

## مقدمة:

أدرك المصلحون في القرن التاسع عشر الفارق الكبير بين ما حصل في أوروبا من تقدم واكتشافات علمية، وبين الذي يزرع تحت وطأته المسلمون<sup>٣١</sup>، فدعوا إلى الإصلاح الديني والإصلاح العملي؛ إذ أثمرت هذه الدعوات إنشاء المدارس، وتنظيم التعليم، وإنشاء المكتبات، فضلاً عن تشجيع الطباعة والنشر وتأسيس الصحف<sup>٤</sup>. .. كان مدار الإصلاح القرآن الكريم الذي في هداه صلاح الفساد<sup>٥</sup> فالقرآن حسب ما رآه محمد عبده الدواء الشافي للمسلمين مما هم فيه ولكنهم لا يتناولونه، فأين اليد التي تقرب من هذا المريض دواءه وتناوله إياه لا جرم أنها لن تكون إلا يد التعليم الصحيح للإسلام والتفسير الحكيم للقرآن<sup>٥</sup> فأساس هذا الإصلاح ومنطلقه القرآن الكريم باعتباره صالحاً لكل زمان ومكان، ولن يكون ذلك إلا ببيان ما نزل به من الحكم والمبادئ والأحكام، وتجليتها من خلال تفسير آياته، بعرضه بأسلوب عصري، وتجاوز الثغرات التي أصابت علم التفسير، إذ رأى بعض العلماء أن كسراً أصاب هذا العلم ولا بد من إصلاحه<sup>٦</sup>، ومن هؤلاء الأعلام محمد عزة دروزة مؤلف التفسير الحديث، فمن هو محمد عزة دروزة؟ وما مكونات فكره ومنهجه؟ وما الثغرات التي نادى بتجاوزها؟ وما هي مرتكزات إصلاح علم التفسير في تفسيره الحديث؟ وما محور هذا الإصلاح؟.

## المبحث الأول - دروزة وعصره:

لعل تتبع سيرة محمد عزة دروزة والتأريخ لعصره، يحتاج إلى بحث مستقل ولاسيما أن هذا المؤلف قد خص نفسه بمذكرات طبعت في ستة مجلدات، نحو ٤٥٠٠ صفحة<sup>٧</sup> عدا البحوث التي ترجمت لعصره وحياته<sup>٨</sup>، لذا لن يكون هدفي إعادة ما كتب وإنما سأركز على ما يمكن أن يبرز الأسباب التي أسهمت في تكوين فكره وتوجهه.

**المطلب الأول - عصر دروزة :**

طرأت على العالم العربي الإسلامي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تغيرات وتبدلات على الصعيد السياسي، انعكست بدورها على مختلف الأصعدة ولم تكن بلاد الشام بمنأى عن هذه التبدلات ولاسيما فلسطين مولد دروزة فقد بدأ تسرب النفوذ الاستعماري مع بداية القرن التاسع عشر، عندما دب الضعف والانحلال في جسد الدولة العثمانية، مما ساعد على ظهور الدعوة إلى القومية التركية ممثلة بجمعيات عديدة، من أشهرها جمعية الاتحاد والترقي، وازدياد الضعف في الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر ازداد النفوذ الأوربي<sup>١</sup>، وأخذت تبرز في البلاد العربية الحركات والجمعيات السرية في أوائل القرن العشرين التي دعت للتخلص من ظلم الاتحاديين، كان منها تأسيس جمعية الإخاء والمنتدى الأدبي عام ١٩٠٩م، والكتلة النيابية عام ١٩١٢م، والجمعية العربية الفتاة عام ١٩١١م، وغير ذلك، كان من أهم أهداف هذه الجمعيات عدم الانفصال عن العثمانيين مع المطالبة باللامركزية<sup>١</sup>.

وما إن انهزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى حتى تكالب الاستعمار على تقسيم الجسد المريض<sup>١١</sup>.

فبعد أن أعطي اليهود وعد بلفور سنة ١٩١٧م، صارت العراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني وصارت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

هذا بالنسبة إلى الوضع السياسي أما التعليم في عهد الدولة العثمانية فكان معتمداً على الكتاتيب والمساجد إلى أن أنشئت سنة ١٨٥٧م وزارة التربية والتعليم فكانت المدارس مؤلفة من الابتدائية مدة ثلاث سنوات، والرشدية مثلها، والإعدادية أربع سنوات، ثم إن شاء أن يكمل الطالب دراسته التحق بالأستانة، كما وجد عدد من المدارس التي أسسها المبشرون. كان في محافظة نابلس مسقط رأس دروزة عام ١٩٠٣م تسعون مدرسة ابتدائية، كما بلغ عدد المدارس التبشيرية فيها اثنتي عشرة مدرسة، علماً أن عدد السكان

محافظة نابلس حتى عام ١٩٠٨م (١٣٥٩٣٤) نسمة، في حين كان عدد الطوائف الأخرى من النصارى واليهود وغيرهم يقل عن ثلاث آلاف نسمة<sup>١٢</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن الإسلام في هذا العصر مر بمراحل أولها الإسلام في قفص الاتهام، انبرى علماء المسلمين في هذه المرحلة بالدفاع عن الإسلام ليثبتوا عدم منافاته للرقى والتقدم ولا معارضته للعلم والعقل، وفي المرحلة الثانية خرج الإسلام من قفصه، لكن ليلبس أثواب غيره، وليُقاس بمقاييس غير مقاييسه، فما وجده الآخرون صالحاً لهم لا بد أن الإسلام أمر به، وحث عليه، فكان الإسلام يقيم بقيم غيره. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الذاتية بالنسبة إلى الإسلام، فالإسلام ليس صالحاً لأنه موافق للديمقراطية أو الاشتراكية أو الرأسمالية أو الحرية الفردية، باعتبار أن هذه المفاهيم منبثقة عن الآخرين وإنما صلاحيته تنبثق من مقاييسه الخاصة في الخير والشر، ومعايير الذاتية في الحق والباطل<sup>١٣</sup>.

### المطلب الثاني - النشأة والتكوين:

ولد محمد عزة دروزة في مدينة نابلس بفلسطين في شهر شوال عام ١٣٠٥هـ الموافق لشهر حزيران عام ١٨٨٨م<sup>١٤</sup>، كانت أسرته متوسطة الحال، فقد عمل والده في تجارة الأقمشة في مدينة نابلس، كما كانت متمسكة بدينها، مما أثر في تكوين شخصية دروزة.

تلقى دروزة تعليمه في المدارس الحكومية حتى حصل على الشهادة الإعدادية عام ١٣٢١هـ ١٩٠٦م بتفوق، وهي أعلى مرحلة دراسية متوفرة في المدينة آنذاك، ولسوء ظروف أسرته المادية لم يتمكن من متابعة دراسته في بيروت أو الآستانة، كما هو شأن أولاد بعض الأسر الغنية، فدفن به والده لئلا يتحاق بعمل حكومي حيث عمل بدائرة البرق والبريد. مع أن دروزة لم يستطع تكميل تحصيله العلمي، فقد كان دائم الشوق إلى مزيد

من التعلم، فانكب على القراءة والمطالعة والدراسة الشخصية دون انقطاع، إذ كان شغوفاً بمتابعة كبار الكتاب وعمره لا يتجاوز ست عشرة سنة.

فقرأ كتب<sup>١٥</sup> ومقالات محمد عبده ورشيد رضا ومصطفى صادق الرافعي وقاسم أمين، وقد شملت قراءاته كتب الأدب والتاريخ والاجتماع والتفسير والحديث والفقه والكلام والفلسفة والحقوق والاقتصاد والرياضيات سواء باللغة العربية أو اللغة التركية التي كان يتقنها. كما أنّ عمله في دائرة البرق والبريد مكنه من أن يطلع على بعض الصحف والمجلات ممنوعة النشر وقتئذٍ، فكان من تلك الصحف المؤيد والمقطم والأهرام، وبعض صحف المهاجرين في أميركا، فأسهم ولعه بقراءة الكتب في تكوين ثقافة علمية متعددة الاختصاصات، علماً أن حرص دروزة على متابعة تحصيله العلمي بدراسته للكتب لم يفتر، حتى مع تقدمه في السن فقد أتم في سجنه في دمشق عام ١٩٣٩م حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب<sup>١٦</sup>.

مما لا شك فيه أن هذا التنوع في القراءة ولاسيما لكبار الكتاب في عصره، ممن وسموا برجال الإصلاح، سينعكس في مؤلفاته، بعد أن تمثل ما في هذه الكتب، ليحاول طرح منهج جديد في تفسيره لم يكن مألوفاً من قبل، وفي هذا حسب الظاهر استجابة لدعوات المصلحين فضلاً عن اقتناعه بها، محاولاً أن لا يكون نسخة عنهم في أفكاره وآرائه، رغم تأثره بهم، هذا وإن كان الحكم على مدى هذا التأثير يحتاج إلى بحث مستقل فإنه لا يمكن إنكار ذلك مبدئياً.

كما أنّ قراءته للمجلات والصحف وتنقلاته بين عديد الوظائف الحكومية، وما صاحب ذلك من السفر إلى بعض البلاد، مع التغيرات السياسية فيها، كل هذه الأمور أسهمت في صقل تجربته في الحياة وتكوين حسه الوطني والديني، وتوجهه السياسي.

فمن الوظائف التي شغلها عمله في دائرة البرق والبريد العثمانية من سنة ١٩٠٦م إلى سنة ١٩١٨م، تقلب فيه بين عديد الوظائف؛ وقد فرضت عليه وظيفته

التنقل في بعض البلاد فعين أولاً في نابلس ثم مأموراً بولاية بيروت فمديراً ثم مفتشاً في صحراء سيناء وبئر السبع، فسكراً لديوان المديرية العامة في بيروت وسورية<sup>١٧</sup>.

بعد انتهاء حكم الدولة العثمانية في عام ١٩٢٠م قضى مدة شهر سكرتيراً في ديوان الأمير عبد الله شرقي الأردن، ثم انسحب منه بعد الانتداب البريطاني في فلسطين عام ١٩٢٢م<sup>١٨</sup>، كما عمل في مجال التربية فتولى رئاسة مدرسة النجاح الوطنية الابتدائية والثانوية خلال المدة (١٩٢٢ . ١٩٢٧م)<sup>١٩</sup>.

ومن عام ١٩٢٧م إلى عام ١٩٣٧م عمل في مجال الأوقاف إذ أصبح في عام ١٩٢٨ مأموراً لأوقاف نابلس الإسلامية إلى عام ١٩٣٢م<sup>٢٠</sup>، ثم مديراً الأوقاف فلسطين الإسلامية من عام ١٩٣٢م حتى ١٩٣٧م<sup>٢١</sup>، وعندما وضع الإنكليز يدهم على الأوقاف الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى بسبب الثورة العربية، أقالوا محمد عزة دروزة من منصبه فابتعد عن تولي الوظائف الحكومية ليتفرغ للنشاط العلمي والسياسي بعد أن كانت يجمع معهما الوظيفة<sup>٢٢</sup>.

### المطلب الثالث - نشاطه السياسي والعلمي:

انخرط دروزة بالنشاط الوطني منذ بدايات شبابه، فمع بروز التوجه القومي العربي منذ عام ١٩٠٩م، وما ارتبط بذلك من تأليف جمعيات عديدة، هدفت إلى تحرير البلاد العربية أو التمتع بشكل من الحكم الذاتي ضمن الدولة العثمانية، انتسب إلى حزب الاتحاد والترقي أملاً في إصلاح الأوضاع في مدينته نابلس، لكن ما لبث أن تركه، وكان عمره حينئذٍ لا يتجاوز العشرين عاماً. وعندما شعر بسياسة التتريك في التعليم أسس مع بعض رجالات نابلس عام ١٩١١م الجمعية العربية العلمية، بهدف نشر التعليم العربي وتقويته ولإسما المناداة بجعل اللغة العربية أساساً في التعليم. كما كان لدروزة مع بعض رجال نابلس في ذلك الوقت دور في إحباط مشروع اليهود في الحصول على امتياز باستثمار غور نابلس<sup>٢٣</sup>.

في عام ١٩١٦م دُعي دروزة للانتساب إلى الجمعية العربية الفتاة، فأصبح بعد ثلاث سنوات سكرتيراً للجنة المركزية في دمشق، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنكليز لسائر فلسطين عين سكرتيراً للجمعية الإسلامية المسيحية عام ١٩١٩م، والتي كانت أساس تسميتها الجمعية العربية الوطنية، بعداً عن الاسم الطائفي لكن حرص الإنكليز على إبدالهم بهذه التسمية تسمية الجمعية الإسلامية المسيحية مبررين ذلك بأن المعارضة للمطامع الصهيونية هي من المسلمين والمسيحيين على السواء<sup>٢٤</sup>.

كان من ميثاق هذه الجمعية المطالبة باستقلال فلسطين وسورية ورفض وعد بلفور والهجرة اليهودية<sup>٢٥</sup>، مثل دروزة مع بعض رفاقه فلسطين في المؤتمر السوري العام الذي انعقد في دمشق عام ١٩١٩م، الذي كان من أهدافه التعبير عن رغبات أهل الشام أمام النخبة الأمريكية، حيث انتخبه المؤتمر سكرتيراً عاماً له، ومستشاراً للرئيس في الجلسات والمكتب، والمسؤول عن تدبير المخصصات وتوزيعها على الأعضاء<sup>٢٦</sup>.

ازداد عدد الجمعيات والأحزاب في بلاد الشام لتحقيق الاستقلال وقد اشترك دروزة في عام ١٩٢٠م في العديد منها، فقد أسس مع رفاقه في المؤتمر السوري العام حزب التقدم النيابي الذي اختير محمد رشيد رضا<sup>٢٧</sup> رئيساً له، ومحمد عزة دروزة سكرتيراً، كما اشترك في تأسيس حزب الاستقلال العربي الذي تشكل في دمشق عام ١٩٢٠م ليكون الواجهة العلمية للعربية الفتاة، كما كان دروزة مؤسساً وسكرتيراً للجمعية الفلسطينية العربية في دمشق للإشراف على تنظيم الحركة الوطنية في فلسطين، واشترك أيضاً في تشكيل جمعية فتى فلسطين السرية بهدف القيام ببعض الأعمال الفدائية لإشعار الإنجليز والصهيونيين بعزم العرب على الكفاح العسكري ضد مخططاتهم<sup>٢٨</sup>.

بعد سقوط دمشق في يد الفرنسيين عاد دروزة إلى نابلس ليركز اهتمامه على النضال الوطني من أجل تحرير فلسطين<sup>٢٩</sup>. فعاد إلى نشاطه في الجمعية الإسلامية

المسيحية وبقي سكرتيراً لها حتى عام ١٩٣٢م وكان خلال هذه المدة عضواً في المؤتمرات الفلسطينية ولجانها التنفيذية وعضواً مؤسساً في المؤتمر وسكرتيراً أولاً له.

كما أسس مع رفاقه عام ١٩٣٢ م حزباً فلسطينياً سياسياً سمي بحزب الاستقلال، وانتدب أيضاً عن اللجنة العربية العليا إلى المؤتمر العربي الذي انعقد في بلودان عام ١٩٣٧ م من أجل الحصول على تأييد عربي لرفض التقسيم، ثم سافر إلى العراق لإنشاء لجنة اندفاع عن فلسطين<sup>٣٠</sup>. وفي أثناء وجوده في بغداد انفجرت الثورة في فلسطين فعاد إلى دمشق وأسهم مع رفاقه في تمويل الثورة من دمشق خلال ١٩٣٧ م. ١٩٣٩م.

لكن لم تبرح فرنسا أن قبضت عليه عام ١٩٣٩م وحكمت عليه بالسجن مدة خمس سنوات بتهمة تمويل الثورة وإدارتها مع تغريمه خمسة آلاف ليرة<sup>٣١</sup>، قضى من محكوميته سنة وأربعة أشهر، وأفرج عنه إثر هزيمة فرنسا في عام ١٩٤٠م بمساعدة الرئيس شكري القوتلي. وما إن خرج من السجن حتى نفاه الإنكليز والديغوليون -بعد غزوه لسورية - إلى تركيا عام ١٩٤١م ثم إلى الأناضول<sup>٣٢</sup>.

نالت سورية استقلالها في عام ١٩٤٥م، فغادر دروزة إليها وقد زادت متانة علاقته بالقوتلي رئيس الجمهورية السورية، ومع تقدم دروزة في السن، اشتد ثقل سمعه عليه الذي بدأ في عام ١٩٣٢م، وأجريت له عملية جراحية عام ١٩٤٨، أضعفت بنيته وصار النشاط الجسماني متعباً له. فاعتكف في بيته وانصرف إلى النشاط العلمي الكتابي إلى أن توفي في دمشق عام ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م<sup>٣٣</sup>.

هذا فيما يتعلق بنشاطه السياسي أما نشاطه العلمي : فمنذ مطلع شبابه وبعد تخرجه من المدرسة الإعدادية بدأ دروزة بالكتابة في مجالات متعددة شملت الأدب والأخلاق والاجتماع والسياسة، فكتب عام ١٩٠٨م عشرين مقالاً في جريدة الحقيقة البيروتية، كما ألف أول كتبه الأدبية رواية وفود النعمان عام ١٩١١م وغيرها من



الروايات<sup>٣٤</sup>، كانت هذه الروايات في أثناء إدارته لمدرسة النجاح وكان يغلب عليها الاتجاه القومي، كما وضع مؤلفات مدرسية في التاريخ<sup>٣٥</sup>، كما شارك في أثناء وجوده في بيروت في تحرير جريدة الإخاء العثماني، وكتب في مجلة العرب ومجلة الجامعة في القدس، وكان أيضاً من أوائل أعماله ترجمه كتاب دروس في فن التربية عن الفرنسية<sup>٣٦</sup>.

يقول دروزة في مقدمة هذا الكتاب مبيناً بواعثه لترجمته : الآمال التي نرجوها لا تتحقق " إلا بالتربية التي تتناول جميع نواحي الأخلاق والقوى الإنسانية " سبقنا الغرب لذا ينبغي أن نحذو حذوه ونسير في طريق النجاح الذي سار فيه، من ذلك أن ننتفع بالأساليب المفيدة التي وصلت همته لها<sup>٣٧</sup>.

تتضح من هذه الكلمات الأهداف التي سعى دروزة لتحقيقها والأساليب التي ينبغي اتباعها لتحقيق هذه الأهداف.

أما فيما يتعلق بكتاباتة الدينية فكانت البداية عندما حكمت عليه فرنسا بالسجن في سورية، فأتم حفظ القرآن عن ظهر قلب وبدأ بكتابة مسودات كتبه الثلاث (سيرة الرسول) (عصر النبي وبيئته قبل البعثة) (والدستور القرآني في شؤون الحياة) التي نقحها خلال وجوده في تركيا واستفادته فيها من مكتبة الآستانة، فوضع مسودة التفسير ومقدمته القرآن المجيد<sup>٣٨</sup>.

ثم بعد عودته من تركيا قام بتقحيح هذه المسودات، ليبدأ بطباعة بعض كتبه، إلا أنه لم يلبث أن انقطع كلياً للكتابة والتأليف بسبب مرضه<sup>٣٩</sup>.

ألف خلال هذه المدة أغلب كتبه، اشتملت . فضلاً عما ذكر سابقاً . كتباً على الصعيد القومي والفلسطيني والإسلامي<sup>٤٠</sup>.

فكان عدد كتبه المطبوعة ٣٥ ومفرداتها سبعون كتاباً، وثمة كتب أخرى ما زالت مخطوطة لم تطبع بعد<sup>٤١</sup>.

يلاحظ أن عدد كتبه الإسلامية هو الأكثر بالنسبة إلى المجالات الأخرى مع أن كتاباته الإسلامية جاءت في مرحلة متأخرة، كما يغلب فيها التكرار، يظهر ذلك من خلال عناوينها فمثلاً كتبه الثلاثة (عصر النبي، سيرة الرسول، الدستور القرآني) تعدُّ الركائز الأساسية لتفسيره، ولاسيما أنها دراسات من خلال القرآن، لكن ذلك لا ينكر غزارة مؤلفاته وتنوعها.

يبدو أيضاً أن هذا التنوع في الكتابة في مجالات عديدة كالتاريخ، والسياسة والتربية والدين، كان منعكساً عن مسيرة حياته التي تتقل فيها بين وظائف عديدة ومتنوعة، سافر خلالها إلى عديد البلدان زيادة على قراءته المستمرة لمفكري عصره التي تحاول مواكبة التغيرات المعرفية والسياسية، والتي كان يعاني منها على وجه الخصوص الوطن العربي، وبشكل خاص فلسطين موطن دروزة، فرضت عليه هذه الأوضاع أن يكون محللاً لها باحثاً عن الحلول المناسبة لمعضلات عصره، فألف كتابه مشاكل العالم العربي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نال عليه جائزة من الجامعة العربية، كما ألف كتاب الوحدة العربية، بين فيه ضرورتها وعقباتها ومعالجتها. ونال أيضاً عليه الجائزة التشجيعية من المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦١م<sup>٤٢</sup> وإلى غير ذلك من الكتب.

على ضوء ذلك كان منتظراً من مفكر خاض التجارب في حياته، ووعى الأزمة والمشاكل التي يعاني منها واقعه، كان منتظراً من مؤلفاته الإسلامية أن تكون محاكية للواقع، بمحاولة الإصلاح، أو الإجابة عن إشكاليات قد تثار بين الحين والآخر، ولعل وسم تفسيره بالحديث قد يؤكد هذا الافتراض، لكن لن يثبتته إلا قراءة هذا التفسير وتحليله، ولاسيما الجانب المتعلق بهذا البحث.

## المبحث الثاني-مركزات إصلاح علم التفسير في التفسير

### الحديث<sup>٤٣</sup>

أخبر دروزة عن نفسه بأنه شغف منذ شبابه بالقرآن، وتذوق أسلوبه الرائع الحكيم في شتى مواضيعه ودعوته وتوجيهاته وتقريراته، واطلع على جملة من كتب التفسير وغيرها من الدراسات القرآنية، واستظهر منه الكثير من روائعه الجهادية والأخلاقية والاجتماعية والروحية، فكانت له منهاجاً في ظروف حياته التعليمية والجهادية، لكن لم تسنح له فرصة الاشتغال بالقرآن وخدمته إلا عندما سجنته السلطات الفرنسية في السجن، فأتم حفظه، وانكب على قراءة كتب التفسير وألف كتبه الثلاثة<sup>٤٤</sup>، فكانت فرصة لإدامة النظر وإمعان التفكير والتدبر في آيات القرآن الكريم<sup>٤٥</sup>، ليقدّم بعد ذلك على تفسير القرآن الكريم، بقصد عرض القرآن بكامله بعد أن عرضه فصلاً حسب موضوعاته في كتبه الثلاثة، ليظهر فيه حكمة التنزيل ومبادئ القرآن ومتنولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين، لتذمر كثير من الشباب من الأسلوب التقليدي والإعراض عنه، مما أدى إلى انبثاق الصلة بينهم وبين كتابهم المقدس، رغم تزايد هذه الحاجة يوماً بعد يوم، لزيادة تعرض الشباب لتيارات جارفة عاصفة من الإلحاد والتحلل من مختلف القيم والروابط الأخلاقية والاجتماعية والتقليد الأعمى لكل تافه مغل بالدين والخلق والمروءة. فسنتح له الفرصة لوضع مسودة تفسيره عند نفيه إلى تركيا، قضى فيها خمسين شهراً (١٩٤١-١٩٤٥م) ساعده على ذلك ما وجده في مكتبة الأستانة من كتب وتفسير عديدة، وعندما عاد إلى دمشق، صار يغتنم الفرص لمراجعتها، حتى انتهى من تبييضه<sup>٤٦</sup>، استغرق في تفسيره مدة أربع عشرة سنة استغرقت أكثر أوقاته<sup>٤٧</sup>.

### المطلب الأول - موقف دروزة من التفاسير السابقة:

حرص دروزة في استفادته من التفاسير السابقة<sup>٤٨</sup> على أن لا يكون كحاطب ليل، لأنه يفصح عن موقفه من هذه التفاسير في كتابه القرآن المجيد "مقدمة تفسيره" إذ خصص الفصل الرابع منه لنظريات وتعليقات على كتب المفسرين ومناهجهم، فهي من وجهة نظره لا تخلو من الثغرات، مما ينقص من قيمة الفوائد التي احتوتها<sup>٤٩</sup>؛ هذه الثغرات هي:

أولاً. حشر المفسرون الكثير من روايات أسباب النزول في تفاسيرهم رغم ما فيها من تعدد وتناقض ومغايرة أو عدم الاتساق مع روح الآيات وسياقها، أو مع آيات أخرى متصلة بموضوعها أو موضحة لها أو عاطفة عليها، فهذه الروايات لا تثبت على النقد والتمحيص طويلاً، حتى إن الناقد البصير ليدرك ما فيها من أثر الخلافات السياسية والمذهبية والفقهية والكلامية في القرون الثلاثة الأولى<sup>٥٠</sup>.

ثانياً. استفاضت كتب التفسير جميعها تقريباً، بالروايات التفسيرية عن كبار الصحابة وعلماء التابعين وتابعي التابعين، يقف عندها المفسر، ويتقيد بها، بل ويحتج بها بسبب مكانة المصدر الذي نسبت إليه بدءاً، حتى إن ما جرح منها ظل ينتقل من دور إلى دور مع أن الكثير من هذه الروايات المنسوبة إلى الصدر الأول لا تثبت على النقد والتمحيص للأسباب المذكورة في النقطة الأولى<sup>٥١</sup>.

ثالثاً. ولع كثير من المفسرين بالتعليق على ما ورد في القرآن من القصص ولعاً كبيراً، جالوا فيها في ساحات التخمين والتخريف والتكلف والتزويد والمبالغة، حتى ليقع في نفس القارئ من فحوى عباراتهم وأساليب إيرادهم أحياناً أنهم يعنون أن القصص القرآنية قد وردت في القرآن لذاتها، ويقصد الإخبار والمهايات والحقائق أكثر من قصد العظمة والتذكير، وكثير مما أورده من هذه التعليقات لا يتفق مع دلالات الآيات ولا تتحملة أهدافها ولا تقتضيه عباراتها فضلاً عن أن الكثير منها داخل في باب الخرافة بعيد عن الحقائق<sup>٥٢</sup>.

رابعاً. كما ولع كثير من المفسرين بالتعليق على مشاهد الكون والجن والملائكة، جالوا خلالها في ساحات الإغراب والتكلف والتخمين، حتى أن القارئ ليتوهم أن القرآن ما ذكر هذه المشاهد إلا بقصد تقرير الماهيات والحقائق، لا من أجل الدعوة والتذكير والتدعيم بها، فضلاً مع أن ما أورده لا يتفق مع دلالات الآيات ولا تحتمله أهدافها ولا تقتضيه عباراتها وبعدها عن الحقيقة وانضوائها في باب الخرافة<sup>٥٣</sup>.

خامساً. اتخذ بعض المفسرين التفسير وسيلة من وسائل الجدل المذهبي ولاسيما في علم الكلام، فما ورد في القرآن عن ذات الله وصفاته وأفعاله، وما جاء عن أعمال الإنسان وسلوكه وإيمانه وكفره وثوابه وعقابه، كل ذلك كان موضوعاً للتشاد المذهبي في سياق التفسير، محاولاً كل فريق أن يؤيد رأيه بالآيات القرآنية<sup>٥٤</sup>.

سادساً. ولع بعض المفسرين بتخمين انطواء القرآن على أسرار ورموز فاستغرقوا في الكشف عنها واتسع مجال التفريع والتكلف والإغراب في هذا المجال كثيراً حتى ينصرف القلب عن أهداف القرآن الحقيقية، ولعل سبب هذا الولع يرجع إلى بعض الروايات في الحروف المتقطعة المنفردة التي جاءت في مطالع بعض السور القرآنية<sup>٥٥</sup>.

سابعاً. ولع بعض المفسرين في التفريع والاستطراد إلى البحوث المتنوعة الآلية والعقلية والكونية والكلامية والطبيعية والفقهية والفلسفية، والعلم البارز في هذا الباب من قداماء المفسرين الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب"<sup>٥٦</sup> فهذا "الأسلوب مشوش على الناظر في القرآن والراغب في تفهم مراميه ومبادئه واستيحاء توجيهاته وأحكامه وتلقياته " فضلاً عما فيه من مأخذ التكلف والتخمين والإغراب<sup>٥٧</sup>.

كما يعدُّ دروزة من التفاسير الحديثة التي سلكت هذا المسلك "تفسير المنار"؛ لأنه لو منح في حياة مؤلفة وأتمه لبلغت صفحاته خمس عشرة ألفاً، أي أكثر من ضعف تفسير الرازي، وبذلك قد يكون أضخم تفسير في القديم والحديث<sup>٥٨</sup>.

كما بين دروزة العديد من الثغرات الأخرى المتعلقة ببحوث وآراء حول القرآن، كانت بمنزلة المظاهر العامة المشتركة في ما بينها، والتي تتلخص بما يأتي :

أولاً. الروايات التي تخبر بنزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم إنه صار ينزل منجماً على النبي خلال مدة حياته بعد بعثته، كان لها أثر سواء أكان قليلاً أم كثيراً في تكوين الثغرات السابقة، بحيث صارت عاملاً في إغفال صلة الفصول القرآنية

بعصر النزول، وعاملاً في إسباغ معانٍ خاصة أو مستقلة على الألفاظ والأساليب القرآنية تباعد بيننا وبين نزول القرآن وجو بيئته. مع العلم أن دروزة يُعدُّ أن ما ساقه القائلون في حكمة إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فيه تخمين وتكلف وتزويد.<sup>٥٩</sup>

ثانياً. روايات نزول القرآن بالمعنى، أقوال تخمينية، لم يورد لها قائلوها أسانيد موثقة، في حين أنه أمر غيبي لا يصلح القول فيه إلا بنص صريح، علماً أن النبي قد بلغ القرآن الموحى به بألفاظ عربية، دونت وحفظت بالتواتر اليقيني فلا يصح أن يعدل إلى غيره بالظن والتخمين فضلاً عن أن النصوص القرآنية<sup>٦٠</sup> بما تذكره من كون تنزيل القرآن عربياً وجعله عربياً، يحتوي من القرائن والدلائل القوية على كون الألفاظ العربية التي بلغها النبي هي ما نزل الوحي به على قلبه<sup>٦١</sup>.

ثالثاً. مسألة الخلاف الكلامي المشهور في كون القرآن مخلوقاً وغير مخلوق، متعلقة حسب وجهة نظر دروزة بالأحداث السياسية والنحلية والطائفية التي حدثت في القرون الإسلامية الأولى. فلا طائل من الجدل والخلاف فيه ولا ضرورة له، وقد تكون المسألة الخلافية قد أدت إلى إغفال صلة القرآن الكريم بأحداث السيرة النبوية وظروفها، هذا الذي قد أدى إلى ما قيل من أقوال تخمينية حول أسرار القرآن وحروفه ورموزه ومغيباته ومشاهد الكون، وقصص التاريخ مما لا يتسق مع حقائق الأمور وأهداف القرآن<sup>٦٢</sup>.

رابعاً. من هذه الروايات ما ورد في النهي عن تفسير القرآن بالرأي، وما قيل من وجوب الوقوف على حدود الروايات المروية عن النبي والصحاب والتابعين. مع وجاهة هذا الرأي لأنهم أعلم بمفاهيم القرآن ودلالاته، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالأحاديث النبوية صحيحة الإسناد والمتسقة مع روح الآيات القرآنية ومضامينها، فإنه لا ريب أن هذه الروايات والأقوال لا يصح أن تؤخذ كقضايا مسلمة إلا بعد التمهيص متناً

وسنداً وتطبيقاً ومقايسة على الدلالات والعبارات القرآنية، فقد تسوّهل في هذا الباب تساهلاً عظيماً ولاسيّما مع ورود احتمالات النقد والرد لهذه الأقوال، كان هذا التساهل أحد أسباب ما وقع من تشويش واضطراب وإغراب في كتب التفسير<sup>٦٣</sup>.

### المطلب الثاني - الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره عند دروزة:

تجاوزاً للثغرات التي ذكرت سابقاً، قدم دروزة في كتابه " القرآن المجيد " وهي أيضاً "مقدمة تفسيره" في الفصل الثالث منه ما عنوانه بـ "الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره"<sup>٦٤</sup>، عرض فيه ما سماه بأفضل الطرائق لفهم القرآن وتفسيره، وهي أن يلاحظ الناظر فيه عدة أمور مجتمعة، يمكن تلخيصها بما يأتي:

#### أولاً - عصر النزول والتفسير :

يرى دروزة أن من الأمور الأساسية التي على المفسر ملاحظتها عند تفسير القرآن الكريم الصلة بين عصر النزول والقرآن الكريم، لفهم مواضيع القرآن وتقديراته وروحه ومداه، ولمعرفة الحكمة من التبديل والتعديل والنسخ والتتويج والشدة واللين في الخطاب، ولجعل الناظر يندمج في الوقائع ومقتضياتها ولا يبتعد عن حقيقة الواقع، فالجدل وتحميل العبارات القرآنية ما لا تحتمله لا طائل من ورائه، لأن التطور والتنوع في الأحداث والظروف متسقان مع طبائع الأمور ونواميسها التي فطر الله الكون عليها<sup>٦٥</sup>.

يوضح دروزة صلة الوحي القرآني بالبيئة<sup>٦٦</sup> النبوية من جهة أن الدعوة القرآنية بوجه عام اقتضت حكمة الله بسبب ما كان عليه الناس من ضلال في أمور العقيدة وانحراف عن طريق الخير وكون ذلك ناشئاً عن ما كان من تقاليد وعادات وأفكار ومعارف وأهواء وتأويلات ومفاهيم أشار القرآن أيضاً إلى كثير من صورها المتنوعة<sup>٦٧</sup>.

ولا تقتصر علاقة القرآن الكريم بالبيئة النبوية على الصور والأحداث والعادات والأفكار والمعارف، وإنما تتعداها إلى لغة القرآن في مفرداتها وتراكيبها واصطلاحاتها

وأساليبها وأمثالها وتشبيهاتها واستعاراتها ومجازاتها، فهي لغة البيئة النبوية المألوفة، والمفهومة من قبل أهلها، فملاحظة المفسر ذلك يساعده على فهم اللغة القرآنية، هذا الذي يؤدي إلى انتفاء انطواء بعض حروف القرآن وكلماته ونظمه على أسرار وألغاز أو علوه عن إفهام سامعيه مطلقاً أو احتوائه على لهجات العرب ولغاتهم جميعها مع لغات الأمم الأخرى<sup>٦٨</sup>. فلم يكن القرآن غامضاً أو معقداً على متوسط الأفهام والأذهان في عصر نزول القرآن<sup>٦٩</sup>.

يقول دروزة مبيناً فائدة ملاحظة أن لغة القرآن هي لغة البيئة النبوية :

"تجعل الناظر في القرآن يندمج في جو لغته وأساليبه واصطلاحاته التي هي لغة عهد نزوله وأساليبه واصطلاحاته ولغة ظروف هذا العهد فينجلي له كثير من الأمور والمعاني على وجهها وحقيقتها، ولا ينجر إلى معانٍ ومدى ومفاهيم وتزايدات وتكلفات وتخمينات ومعميات لا تتحملها نصوص القرآن وأساليبه ودلالاته وظروف نزوله ومهمة من أنزل عليه"<sup>٧٠</sup>.

أراد دروزة بدعوته إلى ملاحظة الصلة بين القرآن وعصر النزول الوصول إلى حقيقة الأمور والمعاني التي جاء بها القرآن الكريم، وعدم تحميل آياته ما لا تحتل حقيقة وإدماج الناظر في الوقائع ومقتضياتها، دون أن تعني هذه الصلة قصر القرآن على عصر النزول وإلغاء عمومته وأبديته وإنما الفهم على ضوء عصر النزول، فهو لا يفتأ الإشارة إلى المدى المستمر لآيات القرآن وعمومها. لكن التساؤل الذي يفرض نفسه: كيف يكون القرآن خالداً وصالحاً لكل عصر وزمان مع أنه متصل مع عصر النزول؟ لعل الإجابة تكمن في الملاحظة الثانية التالية من ملاحظات الخطة المثلى لفهم القرآن وتفسيره.

## ثانياً - القرآن أسس ووسائل :



يرى دروزة أن محتويات القرآن تنقسم إلى نوعين هما الأسس والوسائل، وإن الجوهري في القرآن من هذين القسمين هو الأسس، لأنها تتطوي على "أهداف التنزيل القرآني والرسالة النبوية من مبادئ وقواعد وشرائع وأحكام وتلقينات" "أما عدا ذلك مما احتواه القرآن من مواضيع مثل القصص والأمثال والوعد والوعيد والترهيب والترغيب والتنديد والجدل والحجاج والأخذ والرد والتذكير والبرهنة والإلزام ولفت النظر إلى نواميس الكون ومشاهد عظمة الله وقدرته ومخلوقاته الخفية والعنوية مثل الجن والإنس وإبليس والشيطان ومشاهد الرؤية فهي وسائل تدعيمية وتأيدية إلى تلك الأسس والأهداف ويسديها"<sup>٧١</sup>. جل هذه الوسائل لها صلة بعصر نزول القرآن، كما أن منها ما هو متصل بالأسس والمبادئ من بعض النواحي كنتائج لها مثل الحياة الأخروية ومشاهدها ومما يدخل في الغيبات الإيمانية.

هدف دروزة من إبراز هذه الملاحظة هو أن يقف الناظر في القرآن عند الأهداف والمبادئ، فيجليها ويبرزها، ولا يحمل الوسائل ما لا ضرورة لتحميلها إياه، ولا يستغرق فيها كاستغراقه في الأسس، وأن لا يغفل عن هدفها الرامي إلى تدعيم الأسس والأهداف مما يؤدي به إلى إهمال التدبر بالجوهري والوقوع فيما لا طائل من ورائه.

يحاول دروزة أن يثبت صحة هذا التقسيم بالاستناد إلى روح القرآن وأسلوبه وآياته، حيث يجد أنه لم ترد الوسائل التدعيمية إلا بعد تقرير الأسس والأهداف والدعوة إليها، هذا من مميزات الأسلوب القرآني وخصوصياته، كما يجد أن هذه الأسس والأهداف تبقى محكمة ثابتة مع اختلاف مواقف النبي وتنوعها، في حين أن الوسائل والتدعيمات تتنوع وتختلف أسلوباً ومدى وتعبيراً مع اختلاف تلك المواقف وتنوعها، يعدُّ دروزة هذه خاصية من شأنها أن تكون مقياساً وضابطاً، للتمييز بين القسمين القرآنيين، بل ومن شأنه أن يحل ما يتوهم أنه إشكالات قرآنية في المدى والأسلوب والتعبير.

استلهم دروزة هذا التقسيم من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] نزلت هذه الآية في سياق الرد على وفد نصراني للتنديد به لأنه ترك الأصل القرآني المحكم، المتمثل في أن الله واحد، واكتفى بقول القرآن إن المسيح كلمة الله وروح منه<sup>٧٢</sup>.

يستلهم من الآية أن القرآن قسمان متمايزان أحدهما محكم أساسي ثابت لا يحتمل تأويلاً ولا تنوعاً، وثانيهما متشابه أنزل على سبيل التقريب والتمثيل ويحتمل التأويل والتنوع<sup>٧٣</sup>.

استدل أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠] فمعنى "محكمة" هو الفرض الأساسي من فروض القرآن وتكاليفه<sup>٧٤</sup>. وفي القرآن آيات كثيرة يبرز فيها تأييد هذا المعنى كآيات البقرة: [١٢ - ٢٦ - ٢٧ - ٥٨ - ٥٩] والكهف: [٥٤ - ٥٩] وطه: [١١٣] والعنكبوت: [٤٠ - ٤٩] والسرور: [٢٠ - ٢٨] والزمير: [٩ - ٢٩] والحاقة: [٤ - ٥٢] والمعارج: [١١ - ٤٤] والمدثر: [٣٠ - ٤٧] الخ.

كما أنّ ملاحظة تطور التنزيل القرآني تبين أن إطلاق تعبير "القرآن" قد بدئ باستعماله منذ بداية نزوله، وبدئ بإطلاقه على ما كان ينزل من مجموعاته قبل تمامه، ثم ظل يطلق على كل ما ينزل من القرآن إلى أن توفي النبي عليه السلام كما يفهم من آيات [المزمل: ٤] و[ق: ١] و[البروج: ٢١] و[ص: ٣] و[الجن: ١] و[الفرقان: ٣٢] و[طه: ١١٤] و[الواقعة: ٧٧] و[النمل: ١] و[الإسراء: ٩] و[يونس: ٨٢] و[الحجر: ١]

وغيرها من السور المكية، ثم أطلق في السور المدنية على ما نزل وكان ينزل كما يفهم من آيات [البقرة: ٢] و[آل عمران: ٣ - ٤] و[النساء: ٨٢] و[الحشر: ٢١]....الخ.

احتوت السور والآيات التي نزلت قبل غيرها في الأكثر أسس الدعوة ومبادئها وأهدافها<sup>٧٥</sup> "واقترعت أو كادت تقتصر على التنشير بها وإنذار الذين لا يستجيبون إليها ولم تتوسع في الوسائل كما في سور الفاتحة والأعلى والشمس والليل والعصر والإخلاص والتكاثر والتين والفارعة، مما يؤيد أن الأهداف والأسس هي المقصودة الجوهرية في القرآن أولاً. وقد خلت هذه السور وأمثالها أو كادت تخلو من العنف مما هو طبيعي لأن الدعوة وأهدافها ومبادئها هي التي يجب أن تعرض أولاً وتنتشر دون ما عنف ولا جدال، ثم أخذت الفصول التالية لها تحتوي إلى جانب تقرير المبادئ والأهداف والتوسع فيها حملات عنيفة على الجاحدين والكافرين والصادقين وحكاية مواقفهم وإنكارهم لصحة الوحي القرآني، كما أخذت تتوسع في الوسائل التوعيمية من قصص وأمثال ووصف نواميس ومشاهد وذكر غيبات إيمانية....الخ مما هو طبيعي كذلك، لأن الجحود والجدل والإنكار والشك والاستغراب والأذى والصد والتحدي والتحريض إنما وقع بعد عرض الدعوة وتقرير الأهداف، ولأن مواقف الجاحدين والمفكرين والشاكين والمستغربين والمتمردين والصادقين والمكابرين والمتحدين استتبع التوسع في الوسائل التوعيمية والتأييدية"<sup>٧٦</sup>.

مع هذا التقسيم إلى أسس ووسائل<sup>٧٧</sup> يؤكد دروزة أنه لا يصح أن يُعنى منه أن الوسائل ثانوية أو أنها غير جوهرية، أو زائدة، فجميع ما في القرآن حق وحكمة ومهم وجوهري، فلا بد للناظر في القرآن من أن يلمح ما في هذه الآيات من روائع الحكمة والموعظة والبيان وقوة الجدل والحجة والتذكير والترغيب والترهيب " مما فيه إلهام وتلقين جليان لكل مسلم بل لكل إنسان على مر العصور وفي كل المناسبات"<sup>٧٨</sup>.

### ثالثاً - تسلسل الفصول القرآنية وسياقها<sup>٧٩</sup> :

يقرر دروزة أن فهم مدى الفصول والمجموعات في السور القرآنية، وفهم معانيها وظروفها الزمنية والموضوعية وخصوصيتها وعمومياتها وتلقيها وتوجيهها وأحكامها فهماً صحيحاً لا يتيسر إلا بملاحظة السياق ترتيبياً أو موضوعاً أو سبباً أو نزولاً أو تسلسلاً وتناسباً، فأخذ الآية أو العبارة أو الكلمة وتفسيرها دون الالتفات إلى سياقها هو بتر لوحدة السياق في كثير من المواقف والمواضع، ومؤدًى إلى التشويش على صحة التفهم والإحاطة أو على حقيقة ومدى الهدف القرآني<sup>٨٠</sup>.

يلفت دروزة الاهتمام إلى هذه الملاحظة من أجل فهم المجموعة أو الفصل القرآني فهماً سائغاً، وليبدو عليه الانسجام والترابط التام سبباً وموضوعاً إذا فسر على أساس وحدته الكلية؛ فيفيد عندها في فهم مدى القرآن ومواضعه وأهدافه، ولمس ناحية من نواحي الروعة والإعجاز والإتقان فيه، بعكس إذا ما أخذ كلمة كلمة أو عبارة عبارة أو آية آية فإن فهمها يضطرب على الناظر، فضلاً عما يقوم في ذهنه من البلبلة والحيرة في مداه ومدلوله هذا أولاً، أما ثانياً فإن ملاحظة سياق الآية ومفهومها للحكم على مدى اتفاقها مع ما يذكر من روايات تورد كأسباب نزول لآيات مفردة أو جزء من آية<sup>٨١</sup>.

أما ثالثاً- فيمكن أن يظهر هذا الترتيب والانسجام والترابط نقاط الضعف في روايات كثيرة وردت في سياق الآيات القرآنية، خاصة مكية بعض الآيات في السور المدنية ومدنية بعض الآيات في السور المكية.

رابعاً- "إزالة وهم التعارض والتناقض في نصوص القرآن وتقريراته المنكررة بأساليب متنوعة حسب المواقف والمناسبات ولاسيما في القصص والمواعظ والإنذار والتبشير والمشاهد الكونية والأخروية الخ"<sup>٨٢</sup>.

خامساً . إزالة ما هو عالق في الذهن خطأ من أنه لا ترتيب ولا انسجام بين الفصول القرآنية<sup>٨٣</sup>.

### رابعاً - فهم القرآن من القرآن :

يكاد يكون القرآن . حسب دروزة . سلسلة تامة يتصل بعضها ببعض أوثق اتصال؛ لذا كانت الوسيلة الفضلى لفهم مدى القرآن ودلالاته وتلقياته وظروف نزوله ومناسباته تفسير بعض القرآن ببعض وربط بعضه ببعض كلما كان ذلك ممكناً، حيث تكمن فائدة ذلك في استغناء الناظر في القرآن عن الفروض والتكلف والتخمين، ومنعه من التورط في موهومات التعارض والإشكالات اللغوية وغير اللغوية، كما يمكن أن تساق لتمييز القوي من الضعيف، والصحيح من الباطل من الأقوال الواردة في تفسير الآيات أوفي مناسبات نزولها وأسبابها<sup>٨٤</sup>.

في ختام بيان دروزة لهذه الملاحظات لا يدعي بأنها جديدة وغير مسبوقه، لكنها عبارة عن نبذ متفرقة عن العلماء والمفسرين مذكورة في شروط التفسير وأصوله، احتوت غير واحدة من هذه الملاحظات كما في الإتيان للسيوطي<sup>٨٥</sup>.

تحقيقاً لهذه الملاحظات وتلافياً للثغرات التي نبه عليها دروزة والتي وقع فيها عديد المفسرين، يقترح دروزة المنهج الذي ينبغي أن يتبع في التفسير المعاصر، المتسق مع الملاحظات التي دعا إلى التزامها، والثغرات التي نبه عليها. وهو ما حاول الالتزام به في تفسيره الحديث<sup>٨٦</sup>.

من أهم ما يميز التفسير الحديث عن غيره من التفاسير هو أن مؤلفه جعل ترتيب تفسيره وفق ترتيب نزول السور، لأنه رأى أنه المنهج الأفضل لفهم القرآن وخدمته، من خلال ذلك يمكن متابعة أطوار السيرة زمنياً بعد زمن، والتنزيل مرحلة بعد مرحلة بشكل أوضح وأدق، "وبهذا وذاك يندمج القارئ في جو نزول القرآن وجو ظروفه ومناسباته، ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"<sup>٨٧</sup>.

نخلص مما سبق أن أهداف دروزة من خطة تفسيره :

١ . فهم مواضيع القرآن وتقريراته وتلقياته وظروفه وروحه ومداه.

٢. تجلية الأهداف والمبادئ القرآنية، أو ما سماه دروزة بالأسس وفهمها فهماً سائغاً.

٣. إدماج القارئ في ظروف نزول القرآن ومناسباته، لتتجلى له حكمة التنزيل.

٤- عدم تحميل الآيات والعبارات أو الكلمات القرآنية ما لا تحتمل والاستغناء عن الفروض والتخمينات، ولاسيما الوسائل ومن ثم تجاوز الثغرات التي وقع فيها المفسرون.

٥. تجلية الهدف من الوسائل.

٦. إزالة وهم التعارض والتناقض بين الفصول القرآنية.

٧. إثبات التناسق والانسجام والتسلسل بين الفصول القرآنية.

٨. تجلية وجه من وجوه الإعجاز في التناسق والانسجام بين الفصول القرآنية.

٩. سبر الصحيح من الضعيف من الأقوال والروايات سواء أكانت بياناً لسبب النزول، أو تفسيراً، أو تحديداً للآيات المكية من المدنية أو العكس.

لعل أهم هذه الأهداف عند دروزة هو تجلية المقاصد القرآنية، هذا ما صرح به وأعلن عنه في مقدمة تفسيره بقوله " انبثقت فينا كتابه تفسير شامل، بقصد عرض القرآن بكامله بعد أن عرضناه فصولاً حسب موضوعاته في الكتب الثلاثة (عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والدستور القرآني في شؤون الحياة) نظهر فيه حكمة التنزيل ومبادئ القرآن ومتناولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين.<sup>٨٨</sup> فأهم هذه الأهداف عند دروزة هو تجلية المقاصد القرآنية والوقوف عندها وعدم تجاوزها إلى تخمينات وافتراضات لا دليل عليها، ومن ثمّ تحكيم المقصد في التفسير ولاسيما فيما سماه بالوسائل، من هنا ينبغي التساؤل عن حقيقة هذه المقاصد في تفسيره وما مفهومها ؟

### المبحث الثالث - مفهوم المقصد في التفسير الحديث:

توخى دروزة من تفسيره تجلية حكمة التنزيل والمبادئ القرآنية المحكمة لذلك وضع خطة مثلى، نادى فيها بضرورة الالتفات إلى عديد الملاحظات في أثناء تفسير القرآن الكريم، كان هدفه الرئيسي منها ما عدّه نقطة أساسية وجوهرية في تفسيره في أثناء عرضه لمنهجه في التفسير، يقول: "تجلية ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتلقينات وتوجيهات وحكم تشريعية وأخلاقية واجتماعية وروحية، وملاحظة مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية. وهذه نقطة أساسية وجوهرية في تفسيرنا وهي كذلك في تفسير القرآن والدعوة القرآنية كما هو المتبادر، وقد اهتمنا لها اهتماماً عظيماً"<sup>٨٩</sup>

هذه التجلية هي في حقيقتها عند دروزة بيان لمقاصد القرآن الكريم، لأن أهداف التنزيل القرآني والرسالة النبوية هي المبادئ والقواعد والشرائع والأحكام والتلقينات مما اصطلح على تسميته بالأسس، باعتبارها محكمات لا تحتمل تأويلاً ولا تنوعاً ولا وجوهاً افتراضية وتقريبية.

أما عدا ذلك مما احتواه القرآن فهو تدعيم وتأييد لتلك الأسس والأهداف وبسبيلها، مما اصطلح على تسميته بالوسائل باعتبارها من المتشابه مما يحتمل تأويلات متعددة أو وجوهاً افتراضية عديدة، فوردت بسبيل التقريب والتمثيل والإلزام والبرهنة مثل مشاهد عظمة الله وقدرته والقصص والأمثال والوعد والوعيد ومشاهد الآخرة<sup>٩٠</sup> الخ.

كشفت دروزة في هذا التقسيم عن الفروق بين الأسس والوسائل المتمثلة في أن الأولى جيء بها لذاتها، لأنها لا تحتمل تأويلاً ولا وجوهاً افتراضية.

أما القسم الثاني فهو لم يذكر لذاته وإنما من أجل تدعيم وتأكيده الأهداف والمقاصد الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم، وهو مما يحتمل التأويل والوجوه الافتراضية وما لا يستطيع عقل الإنسان إدراك سره<sup>٩١</sup>.

أعلن دروزة عن معيار التفرقة بين الأسس والوسائل بقوله: "وننبه على أن هذا التقسيم بالمعنى الذي نقرره مستلهم بوجه عام من روح القرآن وأسلوبه وآياته، مما يستطيع أن يلمسه كل من أنعم النظر فيها، حيث يجد أنه لم ترد قصة أو مثل أو موعظة أو حملة تنديد وإنذار أو إشارة تنويه بملكوت الله وعظمته والدعوة إلى التفكير في آلائه أو ذكره للملائكة والجنّ؛ أو تذكير بما كان من دعوة سابقة ومعجزات نبوية خارقة، أو تنبيه إلى الحياة الأخروية ومشاهدها ونتائجها المبهجة أو المزعجة إلا بعد تقرير تلك الأسس والأهداف أو شيء منها والدعوة إليها، أو بيان الحق والخير والصلاح والسعادة فيها، أو حكاية مواقف الكفار منها أو تثبيت النبي والمسلمين فيها وتصبيرهم عليها، وهذا من مميزات الأسلوب القرآني وخصوصياته بالنسبة إلى سائر الكتب المنزلة، وحيث يجد أن هذه الأسس والأهداف تظل محكمة ثابتة مع ما هو طبيعي من اختلاف مواقف النبي وتنوعها بالنسبة إلى فئات الناس والعقول والظروف في حين أن ما هو من باب الوسائل والتدعيمات يتنوع ويختلف أسلوباً ومدى وتعبيراً مع اختلاف تلك المواقف وتنوعها وهذا خاصة من شأنه أن يكون مقياساً وضابطاً للتفريق بين القسمين القرآنيين، بل ومن شأنه أن يحل ما يتوهمه الناظر في القرآن من إشكالات قرآنية في الأسلوب والمدى والتعبير أيضاً".<sup>٩٢</sup>

يظهر من كلام دروزة السابق أن ضابط ومعياري التفريق بين الأسس والوسائل أن الأسس تبقى ثابتة رغم اختلاف مواقف النبي وتنوعها، أما الوسائل فتختلف أسلوباً ومدى وتعبيراً مع اختلاف المواقف وتنوعها، فالجوهرية في محتويات القرآن هو الأسس<sup>٩٣</sup>، وملاحظة هذه الأسس هو محور ملاحظات الخطة المثلى لأن ما عداها إما أن يكون سبيلاً للوصول إليها أو حصناً من الشطط عنها، ومن ثم لا تخرج أهداف دروزة المذكورة سابقاً. عن هذين الوصفين، فمثلاً يقول دروزة مبيناً أن ملاحظة البيئة النبوية في التفسير لها دور في تجلية المقاصد القرآنية: "تجلية ما تحتويه الجملة من



صور ومشاهد عن السيرة والبيئة النبوية، لأن هذا يساعد على تفهم ظروف الدعوة وسيرها وأطوارها وجلاء جو نزول القرآن الذي ينجلي به كثير من المقاصد القرآنية.<sup>٩٤</sup>

يدل أيضاً هذا الكلام على ما أكدته سابقاً من أن الهدف المحوري لدروزة من تفسيره تجلية المقاصد القرآنية.

مثال ما عدّه دروزة من المحكمات ومن ثمّ هدفاً قرآنياً قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ الفلم : ٥٢ ] حيث انطوى فيها إعلان كون الرسالة المحمدية دعوة شامل لجميع الناس في جميع الأزمان، وتبكيّر ورودها يعني أنها هدف محكم من أهداف هذه الرسالة منذ بدئها.<sup>٩٥</sup>

فالهدف من هذه الآية هو بيان ما جاءت به من تقرير عمومية الدعوة القرآنية. أما مثال الهدف من الوسائل : فهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق : ١٥ - ١٨] إذ يفتح الباب للكافر والمجرم الأمل بعبفو الله ومغفرته على سابق أفعاله ومن ثمّ التراجع عنها. وتجعل العقوبة المنذر بها مستحقة عليه إذ لم يتراجع وأصر على كفره وجرمه. "ولقد انطوى هذا المعنى في آيات كثيرة جداً مكية ومدنية كثيرة تغني عن التمثيل بحيث يقال: إن الإنذارات القرآنية إنما استهدفت في الدرجة الأولى تنبيه الكفار والمنحرفين والمجرمين وردعهم وصلحهم وحملهم على التراجع والانتهاة من كفرهم وانحرفهم وإجرامهم. وفي هذا ما فيه من روعة وحكمة سامية وتلقين مستمر المدى"<sup>٩٦</sup>

فالإنذارات القرآنية لم تقصد لذاتها وإنما من أجل إثارة الخوف والرهبية في نفوس الضالين حتى يستقيموا، وإذا لم يستقيموا استحقوا العقاب، وبث الاغتباط والطمانينة في نفوس الصالحين حتى يثبتوا في الطريق القويم الذي اهدتوا إليه.

فالهدف عند دروزة ضمن هذا الإطار يشمل قسمين: قسم محكم وهو ما جاء به هذا القسم، وآخر متشابه وهو ما لم يقصد لذاته وإنما من أجل القسم الأول، عبر دروزة

عن تقصيد مشمولات التقسيم الثاني بعبارات أخرى غير الهدف كالمقصد والحكمة والمغزى<sup>٩٧</sup>.

أما القسم الأول فقد تنوعت التعابير عنه، بمشمولاته غالباً، وبمصطلحات مقاصدية أحياناً أخرى<sup>٩٨</sup>.

كما أنه استعمل مصطلح التلقين أحد أنواع القسم الأول، وفي القسم الثاني عندما يرى في مضمونه تلقيناً مستمر المدى للمسلمين كما في آيات البقرة [٦٣ - ٦٦] الموجه لبني إسرائيل بأسلوب تقييدي بهدف الإنذار والتحذير من أن يكرروا مواقف وانحرافات أولئك الآباء، ومع هذا فإن الآيات احتوت تلقيناً مستمر المدى للمسلمين في وجوب التمسك بتعاليم الله في عدم الانحراف عنها أو الاحتيال عليها<sup>٩٩</sup>.

فالمقصد أو الهدف بالنسبة إلى محتويات القرآن يشمل ما جاءت به المحكمات، وما جاءت لأجله المتشابهات؛ لكن عند تتبع دروزة في تفسيره يلاحظ أنه لا يكتفي بذلك وخاصة عندما يتعلق الأمر بالأسس أو المحكمات فإنه يحرص أيضاً على تجلية ما جاءت لأجله من الحكم التشريعية والأخلاقية والاجتماعية والروحية. وفي ما أورده سابقاً من بيان لهدفه من تفسيره في بيان حكمة التنزيل تأكيد لهذا التوجه، حتى إنه يقرر أن عادة القرآن هي الكشف عن فوائد وحكم وأمر الله ونواهيه في الدنيا والآخرة إذ يقول في معرض كلامه عن الصلاة: "وجرياً على العادة القرآنية في بيان فوائد وأمر الله ونواهيه في الدنيا والآخرة معاً نبه في أكثر من آية إلى ما تؤدي إليه الصلاة من نتائج عظيمة خلقية وروحية واجتماعية مثل ما جاء في آية سورة البقرة هذه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ١٠٠"

ومن ذلك أيضاً بيان الحكمة من جعل الشريعة نصيب الذكر في الميراث ضعف نصيب الأنثى المذكور في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ [النساء: ١١]، فالحكمة من ذلك أن الأنثى في أغلب أحوالها مضمونة الإنفاق

من ابنها أو أبيها وزوجها بل وأخيها، وحينما لا تكون كذلك فإنها لا تكون في الغالب مكلفة بغير نفسها، بعكس الذكر المكلف دائماً بالإتيان على الأنثى وغيرها<sup>١٠١</sup>.  
 يلاحظ أن دروزة لم يستعمل مصطلح الحكمة للدلالة على ما جاءت به الآيات المحكمات من مقاصد وأهداف، وإنما استعمله للدلالة على ما جاء لأجله الخطاب سواء أكان بياناً لسبب مجيء الكلام أم لأثره وفائدته، دون أن يختص ذلك بهذا المصطلح كما ذكر آنفاً، وهذا شامل للأسس من حيث بيان الحكمة منها وشامل الوسائل من حيث بيان الهدف منها.

إذا كان دروزة يعدُّ أن الهدف من الوسائل هو تدعيم الأسس وسبيل إليها فهل يعني ذلك أن ما ذكر كتعليقات وحكم لسبب ورود الوسائل في القرآن الكريم لا يعدُّ مقاصدَ وأهدافاً أم أن الأمر خلاف ذلك؟

لعل مبرر هذا التساؤل هو ما نلاحظه في تفسير دروزة من مستويين في تقصيد الوسائل المستوى الأول: تعليل سبب ذكر الكلام بمعنى لماذا ورد هذا الكلام؟ ولماذا اختص بالذكر دون غيره وما المقاصد الأسلوبية منه؟

مثال ذلك بيان الحكمة من ذكر الجنة، بالأسلوب الذي ذكرت به، هي التقريب للأذهان والتأثير في النفوس والتطمين والبشرى<sup>١٠٢</sup>.

كما بين بشكل عام الحكمة من تساوق مشاهد الآخرة وأهوالها وثوابها وعقابها في القرآن مع مألوفات الناس في الحياة الدنيا، يقول دروزة: "لا بد من أن يكون للأسلوب والعبارة التي ذكرت بها تلك المشاهد حكمة، ولعل من ذلك قصد التأثير في النفوس التي لا تتأثر إلا بما تعرفه وتحس به والله أعلم"<sup>١٠٣</sup>.

أما المستوى الثاني من التعليلات فهو بيان للهدف من هذه الوسائل بشكل يدعم الأسس أو يكون سبباً إليها بمعنى لماذا جاء القرآن بهذه المواضيع من الوسائل؟ وهل أهداف هذا القسم هو ذاته ما جاءت به الآيات المحكمات من الأسس؟

إن أهداف الوسائل بالدرجة الأولى هو تدعيم الأسس وإثباتها دون أن يكون الهدف منها تعيين الأسس، كأهداف قصص الأنبياء في القرآن من تثبت النبي ودعوته إلى التأسى وإنذار الكفار وتذكيرهم بما حل بمن سبقهم من الجاحدين وتبشير المسلمين بما كان من عاقبة المؤمنين في الأمم السالفة<sup>١٠٤</sup> ومجمل هذه الأهداف هو " العبرة والموعظة والتطمين والتسلية والتثديد والإنذار وفي القرآن آيات كثيرة تتضمن تقرير هدف القصص القرآنية في نطاق ذلك منها آية سورة الأعراف ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [ الأعراف: ١٠١ ] وآية سورة هود ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٢٠] [ وآية سورة يوسف ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] <sup>١٠٥</sup>.

فالقصة القرآنية عند دروزة وسيلة لتدعيم مبادئ القرآن دون أن تشكل مقاصد غير مقاصد وأهداف الأسس. مثال برهنة بعض هذه الوسائل على بعض الأسس قوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٨-٩] القصد من ذكر انفراج السماء وانطماس النجوم هو " البرهنة على قدرة الله عز وجل ومطلق تصرفه في الأكوان"<sup>١٠٦</sup> فالآيات لم تقرر قدرة الله عز وجل وإنما جاءت مبرهنة عليها لكن هذا لا يمنع أن تكون قد احتوت هذه الوسائل على تلقينات مستمرة المدى، متنسقة مع المبادئ القرآنية كما ألمحت إلى ذلك سابقاً<sup>١٠٧</sup>.

نخلص مما سبق إلى أن المقصد أو الهدف عند دروزة يشمل ما يأتي :

١. ما جاء به المحكم من القرآن أو الأسس من المبادئ والقواعد والأحكام والتلقينات.
٢. الحكم التشريعية والأخلاقية والاجتماعية والروحية التي جاءت لأجلها الأسس والمبادئ القرآنية.
- ٣- ما جاء لأجله المتشابه في القرآن أو الوسائل من القصص ومشاهد الكون والوعد والوعيد ومشاهد الآخرة.. الخ مما يدعم الأسس أو بسبيلها.

٤. تعليل سبب اختصاص كلام بالذكر دون آخر أو تعليل وروده على أسلوب دون غيره بالنسبة إلى الوسائل مما يمكن تسميته بالمقاصد الأسلوبية.
- ٥- لا يمنع أن تكون ضمن محتويات الوسائل تلقينات مستمرة المدى متساوقة مع المبادئ القرآنية.

### الخاتمة:

كان دروزة مهتماً بعلوم متعددة كالتاريخ والعلوم الإسلامية والسياسية والتربية، ومناضلاً في سبيل تحرير وطنه، وقد خاض في سبيل ذلك تجارب عديدة صقلته وجعلته واعياً بمشاكل الأمة، فألف في فنون مختلفة كتباً عديدة، اتسمت بالسهولة والبعد عن التعقيد، وكانت بعض هذه الكتب تلامس القضايا المهمة في حياة الأمة، ومن أكثرها . عند دروزة . الكتب الدينية، ولعل من أهمها عنده تفسير القرآن الكريم باعتبار أن ما نزل به هو الأسس الأولى لإصلاح الأمة، لذلك كان لا بد أن يتجاوز معوقات الكشف عن المعاني والمبادئ والمقاصد القرآنية، فشخص الثغرات التي عانى منها علم التفسير، ووجد أن أكثر الثغرات حضوراً في علم التفسير القراءة الإسقاطية<sup>١٠٨</sup> التي ينشغل فيها القارئ بقضايا المجتمع على حساب معطيات النص، فحاول أن يبتكر منهجاً جديداً في التفسير لتجاوز تلك الثغرات بأسلوب عصري، نبه فيه على الأساس والجوهري في علم التفسير من المقاصد والحكم القرآنية فألف تفسيره حسب ترتيب النزول، وقسم محتويات القرآن الكريم إلى قسمين رئيسيين هما الأسس والوسائل، الجوهري منهما قسم الأسس الشامل للمبادئ والتلقينات والتشريعات والمقاصد القرآنية، دون أن يعني ذلك أن قسم الوسائل مقتصر على عصر التنزيل، لأن هذه الوسائل هي مدعمة ومؤكدة للأسس وبسبيلها فضلاً عن مقاصدها وغايتها، هذا مع حرص دروزة الدائم والمستمر على الدعوة إلى الإيمان بمحتويات القرآن الكريم وخاصة قسم الوسائل، فقد أراد بهذا التقسيم إدراك المقصد الأصلي للآيات القرآنية أولاً، وقطع الطريق أمام المتكلمين في التفسير والمحملين الآيات

مالا تحتل، فهو يعتبر أن قسم الوسائل يمكن أن يعد باباً واسعاً لتعريض القرآن الكريم للجدل والنقاش فيما لا طائل وراءه.

رغم أن دروزة يقول بعلم المخاطبين في عصر التنزيل بأصل القصص القرآني أو علم أفراد من العرب بها، فإنه لا ينكر واقعيته وضرورة الإيمان بصدق ما أخبر به القرآن الكريم، وإنما هدفه عدم الوقوع فيما وقع به السابقون من المفسرين من تحقيق الماهيات والتكلف والتزويد في فهم القصص القرآني ما لم يكن من مقصودها، حتى أنه حاول فيها أن يقارن بين بعض المكتشفات العلمية في العصر الحديث من النقائش التاريخية<sup>١٠٩</sup> وبين ما جاءت به بعض القصص القرآني ليؤكد مصداقيتها، إلا أن ذلك نادر.

وقد سعى دروزة إلى أن يكون موضوعياً في تفسيره، بأن يكون منسجماً مع نفسه باستدلالاته، بيد أن ذلك لا يعني عدم ورود النقد إليها، أو إثارة تساؤلات تجاهها، فقد حرص في توجهه الغالب في تفسيره أن يتجاوز تعدد التأويلات، وهو وإن كان مقنعاً في الكثير منها إلا أنه غاص وخاض في بعض المواضع من تفسيره بهذه التأويلات، وسعى جاهداً لأن يعرض الأدلة المتعددة على رجحان تأويله، وخاصة في مخالفة جمهور المفسرين في دلالة الآيات على عدم علم العرب بالقصص القرآني.

فقد أراد دروزة في تفسيره أن يخلق أبواباً رآها غير منسجمة مع المقاصد القرآنية، لكنه فتح أبواباً أخرى كانت مؤصدة سواء بمنهجه أم بتوجهه.

والحمد لله رب العالمين

## المصادر والمراجع

- (١) إبراهيم، نبيلة، فن القص بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٩٢م.
- (٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- (٣) ابن تيمية الحراني، أحمد عبد الحلیم، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- (٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية / الدار الجماهيرية الليبية
- (٥) ابن عاشور، محمد الفاضل: التفسير ورجاله، دار الكتب الشرقية، تونس، ط٢، ١٩٧٢م.
- (٦) ابن عاشور، محمد الفاضل: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م،
- (٧) الراميني، أكرم، نابلس في القرن التاسع عشر، مطابع الشعب، عمان، ١٩٧٩.
- (٨) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: د. بديع السيد اللحام، دار قتيبة، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- (٩) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

- (١٠) الشرقاوي، عفت، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨.
- (١١) العودات، يعقوب، أعلام الفكر والأدب في فلسطين، المطابع التعاونية ١٩٧٦، عمان.
- (١٢) الفيصل، عدد ٩٠، ذوالحجة ١٤٠٤ هـ - ٨ أيلول ستمبر ١٩٨٤ م دار الفيصل الثقافية، الرياض.
- (١٣) المبارك، محمد، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٠.
- (١٤) المحافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.
- (١٥) المحتسب، عبد المجيد عبد السلام، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، دار البيارق، عمان، الأردن ط ٣، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- (١٦) الواحدي، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، أسباب النزول، ط ٢، دار القلم، القاهرة.
- (١٧) أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٧٩ م.
- (١٨) أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة.
- (١٩) حمادة، حسين عمر، محمد عزة دروزة، (نشأته - حياته - مؤلفاته)، في سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣ م.



- (٢٠) خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥.
- (٢١) دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م
- (٢٢) دروزة، محمد عزة، القرآن والملحدون ، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- (٢٣) دروزة، محمد عزة، مذكرات وتسجيلات محمد عزة دروزة ٩٧ عاماً في الحياة، دار الغرب الإسلامي .بيروت، ١٩٩٣.
- (٢٤) دروزة، محمد عزة، نشأة الحركة العربية الفتاة الحديثة، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٧٢.
- (٢٥) دروزة، محمد عزة، مئة عام فلسطينية، مذكرات وتسجيلات، دمشق، ط١، ١٩٨٤، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار بالتعاون مع المركز الجغرافي الفلسطيني.
- (٢٦) رشيد رضا، محمد، تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار للأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، أعيد طبعه بالأوفست.
- (٢٧) سليمان، فريد مصطفى، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- (٢٨) غنيم، عادل حسين، محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، دار النهضة العربية.

- (٢٩) فرجات، أحمد حسن، معاني المحكم والمنشابه في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثالثة، عدد ٦٥، شوال ١٤٠٦هـ يوليو ١٩٨٦ م، جامعة الكويت، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،
- (٣٠) كيرك، جورج، موجز تاريخ الشرق الأوسط، من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الإسكندري، مركز كتب الشرق الأوسط، دار الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٥٧ م.
- (٣١) ملا حويش، عبد القادر، بيان المعاني، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٦٣ م.

## الهوامش

١- تميز القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر هجري، القرن التاسع عشر والعشرين ميلادي، بتغيرات واهتزازات وتقلبات عصفت بالبلاد الإسلامية، فقد عمت فيها الاضطرابات والفتن والفوضى، وساءت الحالة الاقتصادية للأفراد والدولة، وتقشى الجهل والفقر والمرض، وتأصلت الأوهام والخرافات، فضلاً عن انحراف فهم الإسلام، وانغلاق باب الاجتهاد أمام المستجدات، بله خلو المعاهد العلمية عن مواكبة علوم العصر، أدى ذلك إلى الانفصام والتنافر بين الإيمان بعظمة وعزة الإسلام وبين الواقع المحسوس؛ بسبب أن تعاليم الإسلام ومبادئه كانت قد حملت مع ظلام عصور الجهالة وقرون الانحلال الكثير من البدع والتأويلات الفاسدة مما زادها تضاداً وانكماشاً، فقصرت المعاني عن غاياتها وابتعدت مرامي الدين عن ميزان العلم والحكمة. هذه الظروف والأحوال التي يعيشها المواطن المسلم أصبحت تختلف اختلافاً بيناً عنها عند الإنسان الأوربي، وعن وضعه في العالم في القرون السابقة، كانت هذه الأوضاع في أواخر القرن الثالث عشر هجري مصدر آلام ملحة مضمّنة هزت العالم الإسلامي، فجعلت المواطن المسلم في حاضره غريباً بنفسه عن نفسه؛ "حيث يكون بحسه مع الأحداث مخالطاً لها، ويكون لبه وجوهه نفسه قد تخلفا عنها لأنهما لم يستطيعا لتلك الأحداث الثقيلة المنكرة خلطة ومراساً فيكون في وقت واحد هو وليس هو" - محمد الفاضل ابن عاشور: التفسير ورجاله، دار الكتب الشرفية، تونس، ط٢، ١٩٧٢- ص٢١٨-٢٢٠ وانظر ص٢١٢. وانظر: علي المحافظ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص٩ و٢٣٦. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر النقيس الحديث، مصدر سابق، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٩م، ص٧ و٨. وانظر: . عفت الشرقاوي، قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، دار النهضة العربية،

بيروت، ١٩٧٨، ص٨٨٨-٨٧٧ ص٩٥. . عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، دار البيارق، عمان، الأردن ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٦ وما بعدها وص٢٦١.

٢- محمد الفاضل ابن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٣م، ص٥٧-٥٠. ص٥٣. ص٥١. ص٩٧. وانظر: . أليس الصبح بقريب، مصدر سابق، ص١٠١.

٣. التفسير ورجاله، مصدر سابق، ص٢٣٩..٢٤٠.

٤- من هؤلاء العلماء محمد الطاهر ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ -

١٩٧٣ م)، وهو من المعاصرين لمحمد عزة دروزة، إذ يرى ابن عاشور في كتابه " أليس الصبح بقريب" أن تفسير القرآن في العصور السابقة، مرت عليه مدة أصبح فيها "تسجيلاً يقيد به فهم القرآن ويضيق به معناه الذي كان السلف يقولون فيه:" إنه لا تقتضي عجائبه ولا تنفذ معانيه" بأسباب جرّت إلى هذا التضيق " أليس الصبح بقريب، مصدر سابق، ص١٨٦.. ويبين موقفه تجاه كلام السابقين بقوله " رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحدَ رَجُلَيْن: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما قضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضُرُّ كثير، وهنالك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نَعْمِدَ إلى ما أشاده الأقدمون فنَهْذِبَهُ ونزِيدَهُ، وحاشا أن ننقضه أو نبيدَهُ، عالماً بأن غمض فضلهم كُفْرانٌ للنعمة، وَجَحْدٌ مزايا سَلَفِهَا ليس من حَمِيد خصال الأمة" التحرير والتنوير، الدار التونسية / الدار الجماهيرية الليبية : ج١/٧.

٥ . محمد عزة دروزة، مذكرات وتسجيلات محمد عزة دروزة ٩٧ عاماً في الحياة، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ١٩٩٣.

- ٦ . انظر مثلاً : عادل حسين غنيم، محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، دار النهضة العربية.
- . فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم ، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
- . حسين عمر حمادة، محمد عزة دروزة، (نشأته . حياته . مؤلفاته)، في سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني، دار قنينة، دمشق، ١٩٨٣ م.
٧. انظر: محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، صد٢٥٤.
- ٨ . انظر في تفاصيل هذا الجمعيات وغيرها في: محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الفتاة، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٧٢، ص ٥٠٠. ٥١٠.
- ٩ . فضلاً عن استيلاء بريطانيا على عدن سنة ١٨٣٩ م وعلى مصر سنة ١٨٨٢ وعلى السودان ١٨٩٨. انظر: جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الأوسط، من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، ترجمة عمر الإسكندري، مركز كتب الشرق الأوسط، دار الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٥٧ م، صد١٤٢.
- ١٠- انظر في كل ما يتعلق عن نابلس في القرن التاسع عشر، مسقط رأس دروزة، وخاصة الوضع التعليمي: أكرم الراميني، نابلس في القرن التاسع عشر، مطابع الشعب، عمان، ١٩٧٩، صد١٣ وما بعدها
- ١١ . محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٠، صد٢ - صد٥١ - صد٥٣.
١٢. ذكر دروزة في مذكراته أن العام الميلادي الموافق لعام ولادته حسب السنة الهجرية هو ١٨٨٧ م، وقد صحح ذلك حسين غنيم فوجد أنه يوافق عام ١٨٨٨ م. مذكرات وتسجيلات محمد عزة دروزة ٩٧ عاماً في الحياة، مصدر سابق، ج١/٤٥.

- . محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، عادل حسن غنيم، مصدر سابق، ص ٦.
١٣. كذلك قرأ ترجمات كتب غوستاف لوبون وهربرت سينسر.
- ١٤ . محمد عزة دروزة، مصدر سابق، ص ٤٧.
- محمد عزة دروزة مئة عام فلسطينية، مذكرات وتسجيلات، دمشق، ط ١، ١٩٨٤، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار بالتعاون مع المركز الجغرافي الفلسطيني، ج ١/١٧-١٨، ص ١٣٦. ص ١٤٥.
- يعقوب العودات، أعلام الفكر والأدب في فلسطين، المطابع التعاونية ١٩٧٦، عمان، ص ٢١٢.
- . محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، مصدر سابق، ص ٦-٧.
- فضلاً عن أنه كان دائم الاطلاع على المجالات الثقافية والإسلامية وكتب التاريخ والأدب، لكنه لم يتلق العلم على أيدي علماء متخصصين ولا سيما في الشريعة الإسلامية إلا مدة قصيرة فحضر دروساً في الفقه للشيخ مصطفى الخياط، ودروساً في الحديث، من كتاب صحيح البخاري للشيخ سليمان شرابي وأخرى في النحو والصرف للشيخ موسى القذمعي، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ٥١.
- ١٥ . مذكرات، مصدر سابق، ج ١/١٧٣، ج ١/٢٠١.
١٦. انظر : المصدر نفسه، ج ١/٥٠٨-٥١٣.
- ١٧ . المصدر نفسه، ج ١/٥٢٠.
- ١٨ . انظر : المصدر نفسه، ج ١/٦٢٦.
١٩. انظر : المصدر نفسه، ج ١/٧٣٩.
٢٠. انظر : المصدر نفسه، ج ٣/٦٤-٧١.
٢١. انظر : المصدر نفسه، ج ١/١٨٢-١٩٩.

٢٢ . المصدر نفسه، ج١/٣٠٩، ج١/٣٢٧.

٢٣ . المصدر نفسه، ج١/٣٤٥.

٢٤ . انظر: المصدر نفسه، ج١/٣٤٨-٣٥٠.

٢٥ . توثقت في هذه المرحلة العلاقة بين دروزة ورشيد رضا وعندما زار دروزة مصر عام ١٩٣٢م عرج على رشيد رضا الذي كان منشغلاً بإعداد تفسير المنار، ومع إعجابه برشيد رضا أخذ عليه عدم معرفته بالسياسة وشؤون الحكم فكان دروزة يقول: " محمد عبده أكثر إشراقاً وألمعيةً وبداهةً وصيناً ورشيد رضا أغزر علماء وإحاطةً ودأباً وإنتاجاً " محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٤٦، ص. ١٢٢

٢٦ . مذكرات، مصدر سابق، ج١/٦٩٢ وما بعدها.

٢٧ . أهم آراء وأفكار دروزة في حركة النضال الفلسطيني تتركز في تصحيح المعلومات عن القضية، والبحث عن أسباب النكبة والتفكير في أفضل الأساليب لمعالجة القضية، والاهتمام بإبراز كيان الشعب الفلسطيني، وفقدان الثقة في مواقف المنظمة الدولية ودعوته الحكام إلى التركيز على القضايا الأساسية وعدم شغل البلدان العربية بقضايا ثانوية تبعدها عن قضاياها الحيوية، كما دعا دروزة لمجموعة من الأسس تبرز وجهة نظره في طريقة معالجة القضية الفلسطينية وموقفه من الحل السلمي لها.

انظر في تفصيل ذلك : محمد عزة دروزة وحركة النضال الفلسطيني، م. س، ص٩٢ - ٩٥.

٢٨ . مذكرات، ج١/٧٨٩ وما بعدها.

٢٩ . المصدر نفسه، ج٣/٨٤٢. حفظ القرآن الكريم في السجن، المصدر نفسه، ج٣/٨٤٣.

٣٠ . المصدر نفسه، ج٣/٩٤٣.

- ٣١ . المصدر نفسه، مصدر سابق، ج ١/٩، الفيصل، عدد ٩٠، ذوالحجة ١٤٠٤ هـ  
٨ أيلول ستمبر ١٩٨٤م دار الفيصل الثقافية، الرياض ص. ١٢
- ٣٢ . هذه الروايات هي رواية تمثيلية : وفود النعمان على كسرى، أنوشروان، ط١، مطبعة  
صبرا، بيروت، ١٣٣١ هـ ١٩١١م  
- رواية تمثيلية السمار وصاحب الأرض ١٩١٣م [مفقودة] نقلًا عن مقدمة مذكرات  
دروزة، مصدر سابق، ص ١٥.
- وكذلك رواية تمثيلية عبد الرحمن الداخل ١٩٢٣م مثلت في نابلس [مفقودة] وكذلك  
رواية تمثيلية آخر ملوك العرب في الأندلس ١٩٢٥ [مفقودة] مثلت في نابلس.
٣٣. وغير مدرسية، وهي مختصر تاريخ العرب والإسلام في ثلاثة أجزاء، طبع الجزء  
الأول والثاني ثلاث طبعات في المطبعة السلفية بمصر . ١٩٢٣. ١٩٢٥م.  
- دروس التاريخ القديم خاص بالمبتدئين، ط١، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٠ -  
١٩٣٢م.
- دروس التاريخ المتوسط و الحديث، (للمدارس الابتدائية) ط٢، مطبعة الترقى، دمشق،  
١٩٥٧/١٩٣٨م.
- دروس التاريخ العربي (من أقدم الأزمنة حتى الآن) ط١، المطبعة السلفية،  
القاهرة، ١٣٤٨.
- تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار من أقدم الأزمنة ٨ أجزاء -  
ط١/المطبعة العصرية - صيدا ١٩٥٨ - ١٩٦٤.
- العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي (٣ أجزاء) ط١، دار اليقظة العربية، دمشق  
١٩٦٠ - ١٩٦١.
- عروبة مصر قبل الإسلام وبعده، ط١، دار الكتب القومية، القاهرة، ١٩٦١.
- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ط١، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٣٧٧/١٩٥٨.



- الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم، ط١، مكتبة أطلس، دمشق، ١٣٨٨ - ١٩٦٩ م.
- بواعث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى - تأليف جان بيشون (بالفرنسية) مترجم إلى التركية بقلم حسين جاهد يالشين، عربه دروزة عن التركية، ط١، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٤٦ م.
٣٦. دروس في فن التربية (القسم النظري) تأليف جبرائيل كمبايرة - نشر ملحقاً بمجلة التربية والتعليم ١٩٢٨ - ١٩٢٩، مطبعة دار السلام، بغداد.
٣٧. المصدر نفسه صد٣.
٣٨. التفسير الحديث، مصدر سابق، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١/٦. ألف خلال ذلك أيضاً: تركيا الحديثة، مكتبة الكشاف، بيروت، ١٣٦٥ - ١٩٣٦. انظر في هذا الكتاب الأسباب التي دفعت دروزة لتأليفه صد٧-٨. كما وضع مسودة كتابه حول الحركة العربية الحديثة.
٣٩. انتخب خلال هذه المدة في عام ١٩٥٦م عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقبل بذلك، كما انتخب في عام ١٩٥٨م عضواً في مجلس الأعلى للفنون ومقرراً لشعبة التاريخ فيه، ولكن ثقل سمعه جعله يعتذر عن الاستمرار في هذه العضوية، ورشح أيضاً من قبل اتحاد الكتاب العرب في سورية عام ١٩٦٩ م لجائزة الدولة التقديرية.
٤٠. الكتب القومية: حول الحركة العربية الحديثة (٦ أجزاء) ط١/المطبع العصرية / صيدا ١٩٥١ - ١٩٥٢.
- مشاكل العالم العربي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نال جائزة من الجامعة العربية، ط١، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٥٢م.

- الوحدة العربية (نال الجائزة التشجيعية من المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١م، ط١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر / بيروت ١٣٧٦ - ١٩٥٧ .
- نشأة الحركة العربية الحديثة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٤٩ .
- أما الكتب على الصعيد الفلسطيني فهي: . كتاب مفتوح إلى اللجنة المالية الإنكليزية، مطبعة دار الأيتام الإسلامية / القدس ١٣٤٩م ١٩٣١، نشرت مقالات في جريدة الجامعة العربية ثم جمعت في كتاب:
- . القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها جزآن، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٦١ .
- . مأساة فلسطين، ط١، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٣٧٩ - ١٩٥٩م .
- فلسطين وجهاد الفلسطينيين، نشرته الهيئة العربية العليا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٩ - ١٩٥٩م . قضية الغزو الصهيوني، ط١، ملحق لمجلة الوعي الإسلامي في الكويت، ١٩٧٠م .
- في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية ومن وحي النكبة، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٧٣م .
- . عبرة من تاريخ فلسطين، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٧٨ .
- صفحات مغلوطة ومهملة من تاريخ القضية الفلسطينية وصلتها بالحركة القومية العربية، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٧٨ .
- . العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني والحديث ومراحل الصراع (جزآن)، ط١، ١٩٧٩ للجزء الأول، ١٩٨٠ للجزء الثاني، دار الكلمة للنشر، بيروت .
- مذكرات وتسجيلات محمد عزة دروزة ٩٧ عاماً الحياة، (٦ مجلدات) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ .
- أما الكتب الإسلامية فهي :

- عصر النبي وبيئته قبل البعثة (صور مقتبسة من القرآن الكريم، ط١، مكتبة ومطبعة دار اليقظة، دمشق، ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م، ط٢، منقحة عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.
- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتبسة من القرآن الكريم، ط١ (جزء واحد) مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨. ط٢ (جزآن المكتب التجاري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م.
- . القرآن والمرأة، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٥١ م.
- . القرآن والضمان الاجتماعي، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٥١ م.
- . القرآن واليهود، ط١ بإشراف مصطفى السباعي صاحب مجلة حضارة الإسلام، دمشق، ١٣٦٧ - ١٩٤٩ م.
- . القرآن المجيد (مقدمة للتفسير الحديث) ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٥٢ م.
- التفسير الحديث (حسب النزول) ٢ أجزاء، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، عيسى البابي الحلبي ( ١٣٨١ - ١٣٨٣ هـ، ١٩٦١ - ١٩٦٤ م ) ثم طبع الطبعة الثانية بعد وفاته وهي منقحة ألحق بالتفسير كمقدمة له كتابه القرآن المجيد، وليس فيها تعديلات جوهرية بالنسبة إلى الطبعة الأولى إلا في التفصيل والإضافة إلى التعليقات والهوامش، ط٢، عشرة مجلدات، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.
- . الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة، ط١ (ج١) فقط اقتصر فيه على القرآن الكريم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م، ط٢ (جزآن) زيدت السنة النبوية، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧ - ١٩٦٩.
- . المرأة في القرآن والسنة، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٣٨٨ - ١٩٦٧ م.
- . الإسلام والاشتراكية، ط١، المطبعة العصرية، صيدا، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ م.
- . القرآن والمبشرون، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٢ ١٩٧٢ م.

- . القرآن والملحدون، ط ١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٣ - ١٩٧٠م.
- الجهاد في سبيل الله في القرآن و الحديث، ط ١، دار اليقظة، دمشق، ١٣٩٥ - ١٩٧٠م.
- . اليهود في القرآن الكريم، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- القواعد القرآنية والنبوية في تنظيم الصلوات بين المسلمين وغير المسلمين، ط ١، دار الجليل، دمشق ١٩٨٢م.
- ٤١ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١٠ / ٣٠-٣١.
- ٤٢ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١٠ / ٢٧-٢٨.
- ٤٣ . لاشك أن بعض المسائل والقضايا التي طرحها دروزة في تفسيره لا يسلم له بها، ولا يمكن لبحث كهذا أن يناقشها، وأحيل القارئ الكريم إلى كتاب محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم لفريد مصطفى سليمان، حيث ناقش مؤلفه دروزة في بعض ما طرحه في تفسيره، لذا سيكون الهم في هذه الدراسة منصرفاً إلى تجلية ما يسهم في تجاوز الثغرات التي وقع بها المفسرون، والكشف عن بعض أسس تطوير علم التفسير من خلال التفسير الحديث.
- ٤٤ . عصر النبي وبيئته قبل البعثة صور مقتبسة من القرآن، وسيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن، نظم القرآن ودستوره في شؤون الحياة.
- ٤٥ . التفسير الحديث، مصدر سابق (المقدمة) ج ١ / ١٤١.
- ٤٦ . التفسير الحديث، مصدر سابق (المقدمة) ج ١ / ٥-٦.
- ٤٧ . مقدمة القرآن المجيد: ج ١ / ٢٥. ألف كتابه القرآن المجيد بعد الانتهاء من تأليف تفسيره، ضمنه موضوعات عن تنزيل القرآن وأسلوبه وأثره وتدوينه وجمعه وترتيبه وقراءته ورسمه ومحكمه ومتشابهه وقصصه وغيبياته ومناهج تفسيره والطريقة المثلى إلى تفسيره وفهمه وقد طبع في كتاب مستقل، ط المكتبة العصرية، صيدا،

بيروت، ١٩٥٢. كانت الطبعة الأولى من تفسيره خالية من هذا الكتاب " القرآن المجيد " أما الطبعة الثانية فقد شملت كتابه القرآن المجيد بوصفه مقدمة لتفسيره، لذا سأعتمد في التوثيق على الطبعة الثانية من تفسيره، لأن المفسر أضاف لها بعض الزيادات.

٤٨ . من أهم التفاسير التي اعتمد عليها دروزة في تفسيره :

- تفسير ابن كثير : انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٨/١٥، ١٩، ٢٣، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٩، ٦٩، ٧٩، ٨٩، ٩١، ٩٤، ٩٦، ١٢٠... الخ.

- تفسير البغوي: انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٩/٢١، ١٩، ٦١، ٩١، ١٠٢، ١١٨، ١٤٧.

- تفسير الخازن: انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٥/١٣، ١٦، ٢٥، ٤٣، ٥٧، ٧٥، ١٣٤.

- تفسير الطبري : انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٤/٨، ٤٤، ٥٤، ٧٩، ٨٠، ١١٧، ١٢٠.

- تفسير القاسمي: انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٣/٧٥، ٨٠، ٣٥٨، ٣٩٥.

- تفسير المنار: انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/٣٨، ١٨٩، ١٩٤، ٣٤٨، ٢٠٠.

- الكشاف للزمخشري: انظر مثلاً التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٠٤، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٨٩، ٤٥٦، ٤٦٣،.

. مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : ج ٦/٩، ١١، ١٨، ٢٥، ٤٥، ٥٦.

ونادراً ما أخذ عن تفسير ابن عباس : ج ٣/١٠٧ . وتفسير أبي السعود: ج ٦/٢٥ وتفسير

الألوسي : ج ٢/١٢، ٢٠ . وتفسير أبي حيان: ج ١/٢٠٣، وتفسير الرازي : ج ٦/٢٥،

- ٢٧ . وتفسير الطنطاوي:جوهري ج٤/١٢٩ . وتفسير القرطبي : ج٢/١٨، ٨٣ .  
وتفسير النسفي: ج٧/١٤٦ . وتفسير النيسابوري :ج٣/٨٩ .
- ٤٩ . اعتبر دروزة أن أكثر الكتب التي اطلع عليها لا تخلو منها واحدة أو أكثر من هذه الثغرات، فبعضها ينقل عن بعض حرفياً، والقليل منها ما يحوي تعليقاً على ما ينقله أو يورده أو يعزوه. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٠٥ - ٢٠٦ .
- ٥٠ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٠٥ - ٢٠٦. انظر أمثلة توضيحية على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٠٦ - ٢١٠. صحيح أن بعض المفسرين ما تقيدوا بمنهج واضح عند تعدد أسباب النزول، ولكن لا تنكر جهود العلماء في وضع منهج واضح في هذه المسألة: انظر مثلاً: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تقديم وتعليق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ٥، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م، ج١/١٠١-١٠٩ . محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: د. بديع السيد اللحام، دار قتيبة، ط ٢، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م، ج١/١٥٥-١٦١ .
- ٥١ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢١٠ - ٢١٢. انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢١٢ - ٢١٨ .
- ٥٢ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢١٨ - ٢١٩ . انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢١٩ - ٢٢٥ .
- ٥٣ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٢٥ - ٢٢٦ . انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٢٦ - ٢٣٢ .
- ٥٤ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٣٢ - ٢٣٣ . انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٢٣٤ - ٢٣٩ .

- ٥٥ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٣٩. انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٤٠ - ٢٤٩.
- ٥٦ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٤٩. انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٥٠ - ٢٥٦.
- ٥٧ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٥٥ - ٢٥٦.
- ٥٨ . لكن ذلك لم يمنع دروزة من أن يعجب بالمؤلف والمؤلف؛ فهو يرى أن التمحيص والتدقيق في بحوثه غالبان، والتكلف والتهافت فيها قليلان، " وقد نمّ عن فهم عميق لأهداف القرآن ومراميه، بحيث يعد بحق أحسن المؤلفات الإسلامية القرآنية الكبيرة وأقومها وأقواها وأشدّها حرارة وحيوية وهو من هذه الناحية معلمة إسلامية قرآنية عظيمة القدر من الخسارة أن يموت مؤلفها قبل إتمامها " وهذا يبرز تأثير دروزة بمنهج مدرسة المنار. انظر مثلاً في نقله عن تفسير المنار: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٦/١٤٣، ص ١٥٦ - ١٥٧. ويأخذ على تفسير المراغي إكثاره من الروايات والأقوال الضعيفة وغير المتسقة مع الآيات، وعدم اندماجه في جو القرآن ونزوله وبيئته، وليس فيه الحرارة والحيوية اللتان تثيران الاهتمام والشوق فضلاً عن التفصيلات الكثيرة والتي لا طائل من ورائها. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٥٦ - ٢٥٧.
- ٥٩ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٥٧ - ٢٦٣.
- ٦٠ . [ يوسف : ٢ ] [ الزخرف : ٣ ] [ الزمر : ٢٨ ]
- ٦١ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٦٣ - ٢٦٤.
- ٦٢ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٦٨ - ٢٧١.
- ٦٣ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٧١ - ٢٧٥.
- ٦٤ . انظر: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٤١ - ٢٠٣.

- ٦٥ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٤٢ - ١٤٦. على ضوء صلة القرآن بعصر النزول وضرورة فهمه على ضوء البيئة النبوية، حاول دروزة أن يثبت علاقة القصص بعصر النزول من حيث معرفة المخاطبين لهذه القصص أو على الأقل أغلبها، انظر التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٦٢ - ١٧٨. أيضاً ما ذكر في القرآن عن الملائكة والجن يدل أنه ليس غريباً على السامعين، انظر التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٧٨ - ١٨٢. كذلك اتساق المضامين القرآنية في مواضيع مشاهد الكون ونواميسه مع ما في أذهان سامعي القرآن عنها، فالقرآن خاطب الناس بما يتسق مع أذهانهم إجمالاً من صور ومعارف لما يكون من قوة أثر الخطاب فيهم بمثل هذا الأسلوب. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٨٢ - ١٨٤. كما حاول دروزة أن يثبت أن ما ذكر في القرآن عن الحياة الآخرة وعن ذات الله إنما ورد بأسلوب منسجم مع مفهومات السامعين في عصر نزول القرآن ومألوفاتهم ومتناول إدراكهم وحسهم. انظر التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٨٤ - ١٨٩. مع أنه يؤكد دائماً أن ذلك لا ينافي صلاحية القرآن لكل زمان ومكان.
- ٦٦ . من أكثر مصادر دروزة التاريخية في تفسيره فيما يتعلق بالتاريخ الجاهلي والإسلامي، القرآن الكريم رغم إنكاره كون القرآن لم يأتي للتأريخ فمثلاً كتابه عصر النبي قبل البعثة عبارة عن دراسة قرآنية، وكذا كتابة سيرة الرسول فضلاً عن اعتماده في الأحاديث على التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول : انظر مثلاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/٧٣ - ٨٠ - ١٤١ - ٢٠٠ - ٢٣٥.
- بلوغ الأرب في أحوال العرب للأوسى : انظر مثلاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/٧٢٩ - ٢٤٩.
- طبقات ابن سعد : انظر مثلاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج/١٣٤ - ١٧٢ - ٢٣٨.



- تاريخ الطبري : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٨/١٨٧ - ٦٠٠ - ٦٠٢.
- تاريخ العرب قبل الإسلام لحواد علي: انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٦/٢٤ - ٤٣ - ٤٦.
- سيرة ابن هشام : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٧/١٦ - ٤٠ - ٦٨ - ٧٥ - ١٠٥.
- وكما اعتمد على كتب أهل الكتاب فيما يتعلق بقصص القرآن من أكثرها الإنجيل : انظر مثلاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٣/١٥٠، ج٤/٣٩٩، ج٥/٣١٦، ج٦/١٩٨، ج٨/٢٨٠.
- . سفر الأحبار : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٢/٤٤٢ - ٤٧٩ - ٤٨٥ - ٤٩٧.
- سفر أخبار اليوم الأول : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٣/٣٦٠.
- . سفر التكوين : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٦/٨٠ - ٢٣٩ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٧.
- . سفر الخروج : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٣/٨٢ - ١٩١ - ١٩٩ - ٢٠٣ - ٢٤٧ - ٢٨٦ - ٤٩٠.
- . سفر العدد : انظر مثلاً:التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٩/٧٤ - ٩١ - ٩٣ - ١٣٦ وغير ذلك من الأسفار.
- ٦٧ . انظر: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/١٤٤ - ١٤٩.
- ٦٨ . التفسير الحديث، مصدر سابق : ج١/١٤٨.
- ٦٩ . انظر أدلة دروزة على ذلك في التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/١٥١ - ١٥٢.
- يستدرك دروزة في أن عدم علو القرآن عن الأفهام لا يعني شكاً في إعجاز القرآن

وعلو طبقته اللغوية والنظمية، لأن القول بإعجاز القرآن لا يقتضي أن يكون أعلى من مستوى أفهام العرب الذين خوطبوا به ووجه إليهم، انظر الأدلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٢-١٥٣. وانظر في أدلة دروزة على أن لغة القرآن ولغة بيئة النبي شيء واحد: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٣ - ١٥٧.

٧٠. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧.

٧١. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧.

٧٢. انظر: علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الواحدي، أسباب النزول، ط ٢، دار القلم، القاهرة، ص ٨٠-٨١.

٧٣. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٨ - ١٥٩. يشير دروزة إلى أنه ليس منفرداً في هذا التخريج فقد سبق إليه كثير من العلماء والمفسرين على تنوع أقوالهم واختلاف مدى السعة والضيق فيها مثل: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنار للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، أعيد طبعه بالأوفست، ج ٣/١٣٦-١٧٠. وقد روي عن ابن عباس في صدد الآية أن المحكم هو ناسخ القرآن وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به وإنَّ المنتشابه هو منسوخ القرآن ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقد نوه للأول بآيات الأنعام: [١٥١ - ١٥٣] والإسراء [٢٣ - ٢٨]. انظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج ٣/٣-١٢. أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

العاصمي النجدي، ج ٢٨٧/١٣. السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م، ج ١٤٤/٢. ما ذكر من أقوال في المحكم والمتشابه: أولاً ذكر في المحكم ثمانية أقوال: أحدها أنه الناسخ روي عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي والثاني أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس ومجاهد، والثالث أنه ما علم العلماء تأويله، روي عن جابر بن عبد الله والرابع أنه الذي لم ينسخ قال له الضحاك، والخامس أنه ما لم تتكرر ألفاظ قاله ابن زيد، والسادس أنه ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى البيان ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد وقال الشافعي وابن الأثيري هو ما لم يحتل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والسابع أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة، والثامن أنه الأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام ذكره القاضي أبو يعلى. ثانياً المتشابه ذكر فيه سبعة أقوال أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي، والثاني أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل كقيام الساعة روي عن جابر بن عبد الله والثالث أنه الحروف المقطعة قاله ابن عباس، والرابع ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد، والخامس ما تكررت ألفاظه قاله ابن زيد، والسادس أنه ما احتل تأويله وجهاً وقال ابن الأثيري المحكم ما لا يحتل التأويلات ولا يخفى على مميز والمتشابه الذي تعتوره التأويلات، والسابع أنه القصص والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، ج ٣٥٠/١-٣٥٣. انظر: مناقشة هذه الأقوال في: أحمد حسن فرحات، معاني المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الثالثة، عدد ٦٥، شوال ١٤٠٦ هـ

يوليو ١٩٨٦ م، جامعة الكويت، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص ١٤٠ - ٢٠٨.

٧٤. كما يرى دروزة أن هذا متسق مع حكمة بعثة الرسل من هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والدعوة إلى المبادئ التي يقوم عليها صلاح الإنسانية، أما ما ظهر على أيدي الرسل من معجزات وما صدر عنهم من الوحي الرباني من نذر وبيانات ووعد وتذكير وقصص الخ فإنها بسبيل تلك الحكمة وإعلانها وتجليتها. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٦٠.

٧٥. يحاول صاحب كتاب "محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم" أن ينقد هذا الاستدلال المذكور في المتن، من حيث كون السور التي مثل لها دروزة تحتوي قسماً كبيراً من الوسائل أو المتشابهات، مثل سورة الشمس فهي تحوي في بدايتها القسم بالشمس والقمر والنهار.. الخ وكل هذه من المشاهد الكونية، كما ذكرت قصة ثمود التي يراها دروزة من الوسائل، كذلك سورة القلم التي ظن الناقد أن دروزة اعتبرها ثاني السور من حيث الترتيب بأكملها، فهي تحوي جملة عنيفة على المشركين، وفيها قصص، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ١٧٦.

يبدو لي أن هذا المؤلف لم يكن دقيقاً بنقده لدروزة بقدر ما كان الأخير دقيقاً بعبارته التي أثبتتها حرفياً في المتن والتي نصت على عدم توسع هذه السور في الوسائل فهولاء ينكر خلوها من الوسائل وإنما يؤكد أنها كادت تخلو من العنف الطبيعي هذا من جهة، أما من جهة اعتباره سور العلق والقلم والمزمل والمدثر من حيث الترتيب فقط بالنسبة إلى مطالعها، فما يأتي بعد هذه المطالع لا يمكن أن يكون نزل إلا بعد نزول سور وفصول من غيرها، فسورة القلم إذا اعتبرت ثاني السور ترتيباً في النزول كان على احتمال نزول الآيات الأربع الأولى وحدها، أما على احتمال أن الآيات الأربع وما بعدها

قد نزلت معاً، فلا يكون ترتيبها هذا صحيحاً، أي تكون الثانية في ترتيب النزول، ويرجح دروزة احتمالية نزولها دفعة واحدة لانسجامها في موضوعها وتسلسلها وسبكها، ومن ثمّ ما تضمنته من مشاهد تكذيبية وجدلية، وحملة تنديدية لا يمكن أن يقع إلا بعد نزول جملة غير يسيرة من القرآن، ومن ثمّ فالسورة ترتيبها كثنائي سورة غير صحيح، التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/ص ١٧ وصد ٣٥٣ وصد ٣٦٥. لذا أرى أن هذا الباحث قد تسرع في نقد ما لم يستطع نقده فضلاً عن تحميله كلام دروزة ما لم يقله.

٧٦. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٦٠ - ١٦١.

٧٧. المتشابه عند دروزة هي "الآيات التي تتحمل وجوهاً عديدة للتأويل أو التي يتشابه فهمها وتأويلها على الأذهان بسبب تنوعها وتنوع سبكها ومقامها وألفاظها". التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٧/١١٦. ومما اعتبره أيضاً من المتشابه ما يحتمله هذا التعريف مما لا يدرك عقل الإنسان سره، وما استأثر الله بعلمه. محمد عزة دروزة، القرآن والملحدون، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣ م، ص ١٥٣. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٧/١٢١. من هذا المنطلق يبدو لي عدم صحة ما حاوله صاحب كتاب "محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم" من نقد دروزة في اعتباره القصص من المتشابه على أساس أن ما يريده دروزة من التشابه في القصص هو تكرار ألفاظها أو تغير أسلوب عرضها، لأنه من التشابه اللفظي الذي لم يرده العلماء من اصطلاحهم بالتشابه، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ١٧١. لكن يبدو لي أن دروزة لم يرد من القول: إن القصص من المتشابه هو التشابه اللفظي وإنما . على ضوء مراده من المتشابه . لما تحتمله من تأويلات عديدة، فضلاً عن أن منها ما لا يدرك عقل الإنسان سره، هذا ما ذكره دروزة في معرض كلامه عن التشابه في القصص. القرآن والملحدون، مصدر سابق، ص ١٥٣.

- ٧٨ المصدر نفسه، ص ١٣٠.
- ٧٩ . يرجح دروزة أن ترتيب الآيات في السور وترتيب السور كان في حياة النبي وبأمره، وقد استدل على ذلك بالروايات والأحاديث، فضلاً عن ما تلهمه القرائن القرآنية. انظر: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٠٩ - ١١٧.
- ٨٠ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٨٩ - ١٩٠. وانظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩٠ - ١٩٧.
- ٨١ . انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩٢ - ١٩٣.
- ٨٢ . انظر مثلاً على ذلك آيات الهداية والضلال: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩٤ - ١٩٧.
- ٨٣ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩٢ - ١٩٤.
- ٨٤ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩٨. انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٨٩ - ٢٠٢.
- ٨٥ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٢٠٢. وانظر، مصدر سابق، ج ٤/١٦٩ - ١٩٤.
- ٨٦ . يتلخص هذا المنهج فيما يأتي :
١. تجزئة المجموعات والفصول إلى جمل تامة يصح الوقوف عندها.
  ٢. شرح الكلمات والتعابير الغريبة بإيجاز ودون تعمق لغوي.
  ٣. شرح مدلول الجملة شرحاً إجمالياً ودون تعمق في الشروح اللغوية والنظمية والاكتفاء بعرض الهدف والمدلول إذا كانت عبارة الجملة واضحة نظماً ولغةً.
  ٤. الإشارة الموجزة إلى ما روي في مناسبة نزول الآيات أوفي صددتها، والتعليق على ما يقتضي التعليق عليه منها بإيجاز.

- ٥- " تجلية ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتلقينات وتوجيهات وحكم تشريعية وأخلاقية واجتماعية وروحية وملاحظة مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية، وهذه نقطة أساسية وجوهرية في تفسيرنا وهي كذلك في تفسير القرآن والدعوة القرآنية كما هو المتبادر وقد اهتمنا لها . دروزة . اهتماماً عظيماً " .
- ٦- تجلية صور ومشاهد السيرة والبيئة النبوية، لفهم ظروف الدعوة وسيرها وأطوارها، لمعرفة المقاصد القرآنية.
- ٧- التنبيه على الوسائل التدعيمية وما يكون فيها من مقاصد أسلوبية كالتعقيب والتعليل ...
- ٨- الاهتمام ببيان التناسب بين الآيات وفصول السور سياقاً أو موضوعاً.
- ٩- تفسير القرآن بالقرآن أولاً ثم بالروايات ثم بأقوال المفسرين.
- ١٠- عرض المعاني بأسلوب قريب المأخذ بعيداً عن الحواشي والغرابية.
- ١١- تقادياً للتكرار، العطف على الشرح الأول عند تكرار المناسبة لذلك، التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٦ - ٩.
- ٨٧- التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٩. وقد حاول البرهنة على صحة هذا المنهج فضلاً عن أنه استفتي بعض مفتي عصره فأجابوه بالتأييد، وأثبت تلك الإجابات في مقدمة تفسيره. انظر: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٠ - ١٢. وقد وردت العديد من التقارير في زمن المؤلف . دروزة . على تفسيره انظر التفسير الحديث، مصدر سابق ج ١/٨ - ٢٢. ولعل تفسير دروزة أول تفسير يصدر حسب ترتيب النزول وإن كان صدر بعد تفسير دروزة مباشرة في العام نفسه تقريباً تفسير عنون بـ بيان المعاني، تأليف عبد القادر ملاحويش، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٦٣م، رتبته مؤلفه حسب ترتيب النزول، فهذان التفسيران وإن اتفقا في هذه الناحية فقط فإن الناظر لا يلاحظ أي نقاط أخرى للتشابه فتوجه المفسر الثاني في تفسير بيان المعاني يغلب عليه النزعة الصوفية. مع هذا المنهج الجديد في التفسير طعن بعض الباحثين المعاصرين بصحة هذا المنهج في التفسير. انظر: محمد عزة دروزة والتفسير الحديث، مصدر سابق، ص ١١٥-١٤٧. رغم ذلك نجد أن تفسيراً حديثاً آخر في هذا العصر

- للشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني راعى فيه مؤلفه ترتيب النزول، وقد توفي رحمه الله قبل أن يتمه.
- ٨٨ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٥.
- ٨٩ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٧.
- ٩٠ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧. القرآن والملحدون، مصدر سابق، ص ١٣٤.
- ٩١ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧.
- ٩٢ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٨ - ١٥٩.
- ٩٣ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧.
- ٩٤ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٧.
- ٩٥ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٤٠٣.
- ٩٦ . التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٣٤٩. وانظر أيضاً الهدف من نفي الشفاعة: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٤٨١.
- ٩٧ . انظر أمثلة على استعمال مصطلح المقصد: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٣٤٦، ص ٤٤٨ - ج ٢/٣٥٤. انظر في استعمال مصطلح الحكمة: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٣٨٢، ص ٤١٨. انظر في استعمال مصطلح المغزى: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/٩.
- ٩٨ . من مشمولات الأسس: المبادئ والقواعد والتلقينات، انظر أمثلة في استعمالات المبادئ للدلالة على الأسس المحكمة: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٤٢٣، ص ٥١٥، ص ٥٢٨، ص ٥٦١، ص ٥٦٤. ج ٢/٢٧، ص ١٠٦، ص ١١٣، ص ١٢٣، ص ١٥٤، ص ٢٤٥، ص ٢٦٠، ص ٣١٠، ص ٣٢٥، ص ٣٢٦، ص ٣٦٥، ص ٤٢٣، ص ٥٥٨. ج ١/١٥١ ولعل أكثر ما استعمل في الإشارة إلى هذا الجانب مصطلح التلقين انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/٥١٥، ٣٧٥، ٣٢٦، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٦، ٥٦٠، ٥٦٣. ج ٢/١٠، ٢١،



- ٢٨، ٤٨، ١٠٠، ١٠٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ٢٠٦، ٢٤١، ٢٥٧. ج٥٨/٦.
- ٥٩، ٦٨، ٧٨، ١٦٣. وانظر مثلاً على استعمال مصطلح القواعد: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٥٨/٦ - ٥٩.
٩٩. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١٧٥/٦ - ١٧٧، وانظر أيضاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١٧٢/٦، ج١٧٩/٦ - ١٨٠، ج١٩١/٦، ج١٩٧/٦.
١٠٠. انظر تفصيل ذلك في: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٣٤١.
١٠١. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٨/٤٢. وانظر أيضاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٩/٥٢، ج٨/٦١، ج٨/١١٤، ج٦/٣٨. استعمل لفظ الحكمة في الأمثلة السابقة لكن قد يجلبها دون أن يشير إلى أنها الحكمة انظر مثلاً على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٩/١٣٤. وقد يعبر عن ما جاءت به الآية بالهدف وعن حكمة الأمر مما جاءت لأجله بالمقصد عندما يبين الاثنين في وقت واحد، انظر: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج٨/٤٠٤. كما يمكن أن يصرح في بيان الحكمة باستعمال عبارة الهدف من الأمر انظر مثلاً على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٥١٣. أو عبارة المقصد من الأمر انظر مثلاً على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٣٤٦. وتجدر الإشارة إلى أن دروزة استعمل لفظ المقصد أحياناً للدلالة على المراد من ما صدق الكلمة أو العبارة، انظر أمثلة على ذلك: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٣٨١، ج٢/١٣٦، ج٢/٤١٤، ج١/٣٠٦، ج١/٣٧٥، ج١/٤٧٢، ج١/٤٧٢، ج٦/٧٦.
١٠٢. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٣٨٢، وانظر أيضاً الحكمة من ذكر النار بالأسلوب الذي ذكرت به: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٤١٨.
١٠٣. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٣٠١ وانظر أيضاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج١/٥٠٨، ج٢/٤١٢ علماً أن دروزة يرى أن ما جرت عليه حكمة

- التنزيل من اختصاص شؤون بالذكر دون شؤون في معرض العظمة والتذكير والإندار والتبشير، لا يعني أن هذا الشيء المختص بالذكر هو الأهم والأخطر دائماً. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/١٩١.
١٠٤. انظر آيات الأنعام [ ٣٣ - ٣٤ ]، العنكبوت [ ٣٨ - ٤٠ ]، هود [ ٦٦ - ٦٧ ].
١٠٥. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٩١ - ١٩٣، وانظر أيضاً: التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/٢٥٥ - ٢٥٦.
١٠٦. التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/٢١٠.
١٠٧. انظر أمثلة على ذلك التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ٢/٣٢٥ - ٣٢٦، ج ٢/٤٢٧، هذا في صلة الوسائل بالأسس، يقول دروزة مخبراً عن الوسائل " منها ما يتصل بالأسس والمبادئ من بعض النواحي كنتائج لها مثل الحياة الأخروية ومشاهدها وأهوالها ونعيمها وعذابها والملائكة والجن ومعجزات الأنبياء مما يدخل في الغيبات الإيمانية " التفسير الحديث، مصدر سابق: ج ١/١٥٧ - ١٥٨.
١٠٨. انظر: الفرق بين القراءة الإسقاطية والقراءة التفسيرية والقراءة الجمالية في: نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٩٢م، ص ٤٥.
- ١٠٩ - ليس كما توهم فريد مصطفى سليمان في كتابه " محمد عزة دروزة و تفسير القرآن الكريم " أنه من الممكن أن يكون دروزة قد تأثر بأحمد خلف الله صاحب كتاب الفن القصصي في القرآن من القول بعدم حقيقة القصص القرآني و قد كان من أدلته أن هذه القصص معلومة من قبل المخاطبين في عصر نزول القرآن ومن ثم فإن هذه الموافقة لا تقتضي كون هذه القصص حقاً وواقعاً. لأنها ليست إلا الصور الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام من التاريخ، انظر تفصيل ذلك في : محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٥٥، منبع توهم فريد مصطفى سليمان تأثر دروزة بخلف الله

هو النقطة الأخيرة السابقة التي جعلها خلف الله مستنداً له، وهي أن ما احتواه القرآن من قصص هو معلوم من قبل المخاطبين، لأن دروزة يقول بذلك أيضاً، لكنه لا ينكر كما أسلفنا حقيقة واقعية القصص ففي قصة ذي القرنين في سورة الكهف ناقش بعض البحوث العلمية التي تحاول تحديد حقيقة ذي القرنين، فوجد أن بعضها قريب من الإقناع لكن "ليس على اعتبار أنه الحقيقة التاريخية المقصودة بالآيات القرآنية" وإنما بالنسبة إلى ما كان يدور ويتداول من أخبار وأثار "لأنه من قبيل التوفيق و التطبيق ولا يمكن أن يعدّ أن هذه الحقيقة هي الحقيقة لأن هذا لا يصح إلا إذا كان هناك يقيناً من تاريخ أو نصاً صريحاً من القرآن أو ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس هناك شيء من ذلك" التفسير الحديث: ج ٥/٩٨ - ١٠١. واضح من هذا الكلام أنه لا ينكر الحقيقة التاريخية إذا كانت مقصودة بالآيات القرآنية و قد نص عليها صراحة، هذا من جهة ومن جهة أخرى لو لم يكن يؤمن بحقيقتها التاريخية لما عرض آراء الباحثين في تحديدها، وناقشها دون أن يصل إلى يقين في ذلك لعدم وجود الأدلة الصريحة، فدروزة لا ينكر أن ما في القرآن من قصص حقائق ينبغي الإيمان بها، ولكنه لا يستنبط منها حقائق تاريخية؛ لأنه ليس من أهداف القصص القرآني التأريخ، فأغفل ذلك والتفت إلى أدلة أخرى تبين حقيقتها فمثلاً يقول عن مملكة سبأ " و قد قرأت على المنقوشات أخبار كثيرة عن المملكة السبئية و الحميرية للمدة العائدة إلى ما قبيل الميلاد للمسيح والممتدة إلى أواسط القرن السادس بعد الميلاد وهي مملكة التبابعة التي عناها القرآن وعتتها الروايات العربية على الأرجح "الحديث: ج ١/٢٢٩. كما صرح بوجود آثارها إلى الآن شاهدة عليها: التفسير الحديث: ج ٣/٢٩١. و انظر في الرد على كتاب الفن القصصي في القرآن: محمد بلتاجي، التفسير البياني للقصص القرآني، مجلة أضواء الشريعة، كلية الشريعة

بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، جمادى الثانية  
١٣٩٥هـ، ص ٩٩ وما بعدها.

---

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٠٠٩/٤/٩.